

الشعر العالمي أيضاً...

بقلم: رئيس التحرير

ARCHIVE

الشعر بصفة عامة ، هو ما يصدر عن الشعور ، وقد سمي الشعر شعراً لأنه صادر عن الشعور ، والشعر وكل ما يصدر عن الشعور لا بد وان يكون صادقاً ، وقد سمي الشعر شعراً لأنه صادر عن الشعور ، والشعر له مستويات مختلفة متفاوتة ، فكما ان ملامح الناس ، وطبائعهم وعاداتهم مختلفة ، كذلك مشاعرهم واحاسيسهم مختلفة ايضا ، ولا تقتصر المشاعر والاحاسيس على الشاعر وحده ، وانما يشترك فيها الناس جميعا ، لكنها تختلف في قوتها وضعفها ، عند بعضهم دون البعض الاخر ، ولا يستطيع كل انسان ان يعبر عن مشاعره واحاسيسه كما يعبر عنها الفنان المتمكن من فنه ، سواء كان هذا الفنان شاعراً ، او رساما ، او نحاتا ، او موسيقياً ، او غير هؤلاء من اصحاب المواهب القوية . والانسان العادي لا يستطيع ان يعبر عن مشاعره واحاسيسه تعبيراً واضحاً ان لم تكن لديه وسيلة للتعبير .

والشعراء البلغاء الفحول ، كما نعرفهم ، هم أولئك الذين استطاعوا ان يسفروا اللغة العربية ، بقواعدها ، واصولها ، وبلاغتها ، وبياناتها ، للتعبير عن مشاعرهم واحاسيسهم ، وتصوير مجتمعهم الذي يعيشون فيه تصويراً حياً خالداً ، وتحسس مشاكل هذا المجتمع تحسناً قوياً صادقاً حيث جاءت اشعارهم رائعة بليغة خالدة . ولا شك ان هؤلاء الشعراء الذين نمنحهم انما هم شعراء العربية الفصحى الذين ظلت اللغة ولا تزال ، تدهم بروائع مفرداتها ، وبما تملكه من طاقات هائلة عظيمة ، مكنهم من اغناء الادب العربي بمختلف المعاني الرفيعة ، والافكار العميقة ، والصور الشعرية ، ولما ضفت اللغة العربية في بعض اجزاء من الوطن العربي ، لا سيما تلك الاجزاء النائية ، كالبلوادي ، اخذت اصولها وقواعدها تتحلل شيئاً فشيئاً ، واخذ بعض الشعراء يكتبون اشعارهم بلغة يشوبها الضعف والتحلل من الاصول والقواعد ، واخذت العامية تطفئ على الفصحى وربما بدا هذا الضعف على اللغة خلال العصر العباسي ، لكنا نلاحظ ان كثيراً من الشعر العامي في الجزيرة العربية

وكما ان الشاعر والاحاسيس تختلف في قوتها وضعفها بين فنان وفنان ، فهي تختلف ايضا بين شاعر وشاعر ، فالشعراء تختلف اشعارهم بين القوة والضعف كما تختلف انغام الموسيقى ، وربما وجدنا شعراء لهم مشاعر قوية ، لكنهم لا يستطيعون ان يعبروا عنها تعبيراً قوياً لضعف شاعريتهم ، وعدم مقدرتهم على التعبير

تتوفر فيه فصاحة الكلمات ، وبلاغة التعبير ، وان كانت هذه الكلمات وهذا التعبير تأتي في أسلوب عامي متحلل من اصول اللغة العربية الفصحى ومن قواعدها ، منطلق في تعبيراته بلهجة يختلف اداؤها عن اللغة الفصحى .

وكما ان الشعر العربي الفصحى تطور بتطور الحياة وتقدم العصر ، كذلك فان الشعر العامي تطور ايضا بتطور الحياة ، لكن الشعر العامي اخذ يتحلل كثيرا من اصول الفصاحة العربية ، والفصاحة العربية تمثل اكثر ما تمثل في اصول اللغة من قواعد ، ومن بلاغة في التعبير ومن انتقاء للالفاظ العربية السليمة التي تستطيع ان تأتي بأسلوب متين رائع ، لا اعوجاج فيه ولا رككة ، ولا اعتداء على قواعد اللسان العربي واصوله .

تطور الشعر العامي ، الى ان وصل الى ما وصل اليه اليوم من تعبير عن البيئة الضيقة المحدودة ، فالشعر العامي الذي كان ينتشر في الجزيرة العربية ، والخليج العربي ، ويقراه اهل هذه المناطق اصبح الان متوقفا ، ومجزأ لا يستطيع الوصول الى هذه المناطق ، لا سيما الشعر العامي الذي اخذ يتحلل تحللاً تاماً من انتقاء الكلمات العربية الاصلية ، ويتلبس الأسلوب الدارج الحلي على السنة العامة من الناس ، دون العناية بهذا الأسلوب ، فالذي يهيم هو التعبير بهذه العمامة السطحية المنتشرة بين الناس .

وفي الكويت استطاع بعض هؤلاء الشعراء ان يسخرُوا هذه العمامة للتعبير عن احساسهم وشاعرهم وعلى راس هؤلاء الشعراء الشعبي فهد ابورسلي ، الذي عبر تعبيراً جليلاً في قصائده واشعاره عن مختلف افكاره وآرائه ، سواء كانت سياسية أو اجتماعية ، أو عاطفية ، وهناك شعراء آخرون لم يستطيعوا ان يبلغوا ما بلغه فهد ابورسلي في قوة شاعريته ، أو سلاسة أسلوبه ، أو عمق نظراته الى المواضيع التي ينطرق اليها في أشعاره .

ان السبب الذي ادى بالشعر العامي الى هذا التوقع ، وهذا الانزلال ، انما هو تحلله من اصول اللغة العربية الفصحى ، وابتعاده عن قواعدها المتينة ، وليست اللغة وحدها هي التي تفنك ، وتنزل ، وتصبح اشلاء مجعنة ، وتضيع بضاياع هذه الاشلاء ، عندئذ تتحلل من اصولها ، وتهمل قواعدها ، وانما كل شيء يتحلل من اصوله ويترك قواعده الميزة ، تتفكك اجزائه ، وينزل بعضها عن بعض ، وتصير اشلاء مجعنة ، تضيع بضاياعها ، لانها فقدت الاساس الذي بنيت عليه ، ولم تجد لها قاعدة ترتكز عليها .

ولو ان الشعر العامي ، حينما تحلل من اصول اللغة الفصحى وقواعدها ، اوجد له اصولاً وقواعد ثابتة يسهل عليها ، كما وصل الى ما وصل اليه ، من تفكك

وتبعاد ، فالشعر العامي في الكويت اليوم ، غيره في الشام مثلاً ، بل غيره في الجزيرة العربية ، مع ان الكويت اقرب الى الجزيرة العربية ، واذا سار الشعر العامي على هذا المثال ، فسوف يتبعثر هباء ، وسوف يختلف في كل جزء من اجزاء الجزيرة العربية التي ما زالت تربطها اللغة العربية الفصحى ، تربطها بالوطن العربي كله ، والذين ينادون باستعمال اللغة العامية في بعض اجزاء الوطن العربي ، إنما ينادون بعزل كل جزء من اجزائه . ولو انهم نادوا بتطوير القواعد التي تقوم عليها اللغة العربية ، وتسهيل الاصول التي تميزها ، لتصبح في متناول العامة من الناس ، لساعدوا على ربط أبناء هذه الامة ، ولعلوا على لم شفتها ، وعلى تطوير لغتها وتسهيلها ، بحيث تصبح لغة الجميع ، لا تصعب على العامي ، ولا يتميز بها المتعلم دون غيره من غير المتعلمين ، اما ان يأتي كل جماعة من أبناء هذه الامة ، ويدعوا الى استعمال لهجتهم الخاصة ، دون ضابط ، ودون نظام ، فهذا ما لا نوافق عليه ، ولا يوافق عليه اي عاقل ، لان معنى الموافقة على ذلك ، اضعاف اللغة الفصحى التي تربط ماضينا بحاضرنا ، واذا انفصلنا عن ماضينا ، اصبحنا في ضياع ، لا تربطنا رابطة ، ولا يجمعنا جامع ، واضعاف اللغة الفصحى يؤدي بنا الى التفكك ، وإلى التجزئة ، ثم الى الضياع .

ان كل شيء لا يقوم على اصول ، ولا يستند الى نظام ، ولا يرتكز على قواعد ، لا يمكن له البقاء ، ولا يؤدي الى خدمة الحياة ، والانسان الضعيف ، لا يمكنه القيام بأي دور في خدمة الحياة ، وخدمة الحياة من اوجب واجبات الانسان العاقل ، لان وجود الانسان يصبح عبثاً اذا لم يكن له دور في خدمة الحياة ، والانسان القوي هو الذي يستطيع ان يؤدي دوره كاملاً في خدمة الحياة ، ولا يمكن الانسان ان يكون قوياً اذا تشقت شمله وتبعثرت جهوده ، وانعزل بعضه عن بعض ، والامم القوية هي التي تقوم بدور فعال في خدمة الحضارة ، وتقدم الحياة ، ولا تكون الامم قوية الا اذا اتحد ابناءؤها ، ولا يمكن لابنائها ان يتحدوا اذا لم تكن لهم رابطة قوية فعالة ، تضم شفتهم ، وتجمع شملهم ، واي رابطة اقوى من رابطة اللغة ؟

ان الشعر العامي وان استطاع ان يعبر عن مشاعر الشاعر ، واحاسيسه ، فان حياته قصيرة ، ومجاله محدود ، لعدم وجود رابطة تربطه ، ثم انه لا يستطيع الوصول الا الى عدد محدود ، لهذا ان الجهد اللغوي يبذل لضعف ، والمعاني التي يجيء بها لا تستطيع الخلود ، وبجانب اللهجة العامية التي يسخرها الشعر العامي للتعبير عن معاناته ، نراه اخيراً يحاول الدخول في تجربة جديدة ، وهي تجربة الاسلوب الشعري الحديث ، التي جاء بها نفر من شعراء اللغة الفصحى ،



ملعب الحب

شعر

يعقوب عبدالعزيز الرشيد

أَنَا مَنْ أُمِّي جِرَاحَاتِي الْهَوَى
وَتَلَهَّتْ بِتَبَارِيحِي السَّنُونُ
فَانطَوَى مَا قَدْ زَرَعْنَا مِنْ مَنَى
وَأَنْتَاهِي مَا قَدْ جَنَيْنَا مِنْ فُتُونُ
هَلْ تَذَكَّرْتِ صَبَابًا عِنْدَمَا
كُنْتُ فِي أَسْرِ الْأَمَانِي وَالْحَنِينِ ؟
لِمَ لَاقَيْتِي فِي جَفَا حِجَابِ الْقُجَى
وَعَنَاقِي فَوْقَ هَاتِكِ الْحَزُونِ
كَمْ سَكَبْتَ الدَّمْعَ فِي اللَّيْلِ وَكَمْ
وَأَكَبْتَ الدَّمْعَ شَهْقٍ وَأَنْبِينُ
لَا تَنْظُنِي قَلْبِي الْمُخْسِنُ سَلَا
وَتَوَارَى خَلْفَ أَسْتَارِ الظَّنُونِ
وَمَشَى مِنْ خَلْفِ أَسْفَاقِ الْهَوَى
وَتَتَاهَتْ فِي حَنَائِيهِ الْفُنُونِ
أَنَا مَنْ يَحْنُو عَلَى الْآلِمِ
وَيُثَلِّتِي بِأَسْمَاءِ هَوْلِ الْمَنُونِ
فَجِرَاحَاتِي الَّتِي أَحْيَا بِهَا
تَحْلِيلَ الْكِبَرِ وَتَأْبَى أَنْ تَهْوُنِ
مَلْعَبِي فِي الْحُبِّ مَخْضَلُ الْجَنَى
وَسَمَائِي فَوْقَ أَسْفَاقِ الْعَيُونِ
اسلام اباد (باكستان) — يعقوب عبدالعزيز الرشيد

والشعر الحديث لا يلتزم في بنائه الوزن الواحد والقافية الواحدة ، وإنما يختار منها كيفما اتفق ، تعدد الأوزان ، واختلاف القافية ، ولما اخذ الشعر القصص ينطلق الى هذا اللون من البناء والأسلوب ، كذلك الشعر العامي اخذ طريقه الى استعمال هذا الأسلوب وهذا البناء ايضا .

ونحب هنا ان نؤكد بان الشعر العامي ، تضع فيه كثير من المعاني ، والافخية ، والرؤى الشعرية ، ويخسر الادب العربي كثيرا من ضياع هذه الادوات التي لو اضيفت اليه لخلدت بخلوده ، ذلك لان الشعر العامي ، محدود في ذبوعه وانتشاره ، محصور في محيطه الصغير الضيق ، لا يخلد خلود الشعر القصص ، لأن عمر لهجته قصير ، اذ ان اللهجة العامية تختلف من منطقة الى اخرى ، وتتغير من زمن الى زمن ، بينما اللغة الفصحى باقية خالدة ، لانها لغة القرآن ، ولغة القرآن خالدة ، يتكلمها العرب في شتى ديارهم ، واذا كانت اللهجة العامية تفرق بينهم ، فان اللغة الفصحى تجمعهم ، وتوحد قلوبهم . لهذا كان اسفنا شديدا ان تضعي المعاني الرفيعة ، والصور الرائعة ، والرؤى المجنحة ، والافخية الشعرية ، بضياع الشعر العامي ، وان يحرم من قراءته وتذوقه الكثير من القاطنين بالفساد لعدم استطاعته الوصول اليهم .

اذا فان الشعر القصص ابقى واخذ من الشعر العامي ، وان الكتابة بالشعر العامي خسارة تصيب الادب العربي ، والكتابة بالشعر القصص تفني الادب العربي ، ونقدم خدمة لتاريخ ، لا سيما الشعر الفني بالمعاني والافخية . والشعر العامي يعمل على تفكيك الامة العربية وتجزئتها ، بينما الشعر القصص يعمل على توحيدها ، ويساعدها على لم شتاتها ، ذلك لان الشعر القصص يقرأه العربي في كل زمان ومكان ، بينما الشعر العامي لا يستطيع قراءته العربي في كل زمان ومكان ، بل ان الشعر العامي لا يستطيع قراءته حتى ابناء منطقة ، ولا يستطيع قراءته قراءة سليمة الا القاريء المتدقق لهذا النوع من الشعر العامي .

ولا يعيب رايانا هذا شعراء العامية ، اذ انهم لم يستطيعوا ان يعبروا عن معاناتهم ، وعن مشاعرهم واحاسيسهم إلا بهذا النوع من الشعر العامي ، كما اننا لا نعييب الشعر العامي لإخفاخته في التعبير عن معاناته وانما نعييب لعدم قدرته على تخطي البيئة والزمان ، ولعدم قدرته على الاسهام في خدمة الادب العربي ، والتاريخ الادبي ، في مختلف العصور ، كما هو الحال في الشعر العربي القصص .

عبد الرزاق الزواصي

مع كتاب الألعاب الشعبية الكويتية



بمقام
خالد
عبد
الكريم الهلايلي



لسيف
مرزوق
الشمّلان



تقد خصمه للحديث عن مبتكرات الصبيان واعمالهم وهواياتهم المحببة، وقد زين الكتاب برسومات ولوحات فنية ملونة تساعد على فهم الموضوعات التي تحدث عنها .
اما الاستاذ سيف مرزوق فقد اختار لنفسه منهجا آخر رتب عليه كتابه ، فقد أثر ترتيبه على حروف المعجم ، بادئا بالألعاب ، ومثليا بما له صلة بها كادواتها والفاظها

فاخرج لنا منذ عام مضى كتابه اللطيف « مع الاطفال في الماضي » . وقد رتب الاستاذ ايوب كتابه ترتيبا حسنا واحسن فيه العرض . فقد قسم الكتاب الى ثلاثة فصول ، تحدث في الفصل الاول عن الألعاب الشعبية وتسميها الى قسمين . « ألعاب الصبيان والاعاب البنات » وتحدث في الفصل الثاني عن المناسبات واغانيها واهازيجها اما الفصل الثالث

صدر منذ شهور الجزء الاول من كتاب الاعراب الشعبية الكويتية للاستاذ سيف مرزوق الشمّلان وقد جمع المؤلف في هذا الكتاب ما كان شائعا بين الكويتيين صفارا وكبارا من الاعراب واهازيج وخرافات ومعتقدات شعبية قد لا يعرفها عدد كبير من ابناء الجيل الجديد . وقد سبق ايوب حسين مؤلفنا الاستاذ سيف في الكتابة حول هذا الموضوع

الخاصة بها . فبيداً باللعب التي اولها حرف الالف ، ثم التي اولها حرف الباء .. وهكذا .. وقد حوى الكتاب احاديث واحصاءات عن اللعب وعن احياء مدينة الكويت القديمة واسماء ساحاتها وحفر السبيل واحواض السفن واسماء الدواوين وانواع السفن والطيور والاسماك والاشجار والاعشاب وغير ذلك مما له صلة باللعب الشعبية من قريب او من بعيد . وقد دفعه حبه للماضي وتعلمه به الى تسجيل ما ليس له ادنى صلة بموضوع الكتاب كالانفساء العامية الكويتية التي وضع لها المصنف جدولاً في آخر الكتاب محاولاً حصرها مع كثرتها وحاجة كثير منها الى تفسير وتنس في المصادر العربية لمعرفة اصولها ودلائلها المتطورة عبر العصور .

وبعد ، فلنا على الكتاب ملاحظات لابد من ايرادها وهي :
(1) لم يلزم المؤلف في ترتيبه لمواد الكتاب بما يفعله عادة المستوفون لهذا النوع من الكتب من اهيل لكلمة ابن ، وابي ، وآل ، و «ال التعريف» . فقد اهيل «ال التعريف» في اكثر الكتاب ولكنه اورد لمبة « اللقصة » في باب الالف والهزة مع ان الواجب تركها الى باب اللام لان «ال» التعريف تدخل على جميع الاسماء ولا يعتد بها عند الترتيب الهجائي . كما ان المؤلف قد اعتبر الحركة التي يتوصل بها للتلفظ بالسكان همزة وبالتالي نجده قد وضع الكلمات الساكنة الاول ضمن باب الالف والهزة حيث اضاف همزة قبلها مثل « خلوطات » التي كان الواجب تركها الى باب الخاء ، و « ذبيبة » التي يجيب ان ترد في باب الدال ، تركها الى باب السين .. وهلم جرا .
(2) ذكر المصنف «حي البحارنة» وقال في سبب تسمية بهذا الاسم « نسبة لجماعة من البحرين » ثم ذكر براحة البحارنة وقال « نسبة لجماعة

من طائفة البحارنة » والذي نعرفه ان براحة البحارنة تقع في حي البحارنة والبحارنة ليسوا من اهل البحرين كما هو معروف عندنا بل المراد بهم جماعة الشيعة . كما ان تفسير البحارنة بانهم جماعة من طائفة البحارنة تفسير غامض لا يوضح شيئاً .

(3) قال المؤلف « امطوع جمع مطاوعة .. » و « الملا جمع ملالية » ... « وخربوطه جمع خرابيط » . وهذا تعبير معكوس يفسد الكلام والصواب « مطاوعة جمع مطوع وملالية جمع ملا وخرابيط جمع خربوطه » ، او « مطوع والجمع مطاوعة » .. الخ .

(4) ذكر المؤلف « التَّجْسِيسُ » وفسره بانه الضرب بالخرق ، وهذا وهم منه لان الضرب بالخرق يقتل عند اهل الكويت « الضرب بالمجالة » اي المكاللة — بنطق الكاف جيسا شديدة التعتيش ، وهي الظاهرة المسماة بالكشكة ، والمكاللة كلمة عربية من عكست الشيء اذا جمعتهم وضمت بعضهم الى بعض . اما التَّجْسِيسُ فهو ان يسلك الكلام بطرف الكوفية الفترة ويسبل طرفها الاخر ، ثم يحرك يده الى الاسام ويرفعها الى اعلى بشدة وسرعة خاطفة فتخرج الكوفية صوتاً ، فاذها سطرناها السبل في اثناء هذه الحركة غلاماً اخر سبب له الما يشبه حصى النار . فالتحسس كما ترى شيء اخر غير الضرب بالخرق .

(5) قال المؤلف « جاء للدال ذكر في كتب اللغة العربية برقع الدال » وتعبير رقع الدال تعبير خاطيء ، لان الرقع حركة اعراب ، والاعراب لا يقع في اوائل الكلم بل في اواخره ، فالصواب ان يقول « بضم الدال » .
(6) ذكر المصنف « لعبسة الثلوف » وكرر هذا اللفظ مرات عديدة ، وهو خطأ صوابه الفلوف .
(7) تحدث المصنف عن كلمة جاري — بنطق الجيم جيبا قاهرية

قليلة التعتيش فقال : « الجاري الدراجة معروفة .. ويشق اسمها من الجري العدو الركض لانها تجري فاسمها اذن عربي » ولو سلطنا بصحة هذا القول لسلطنا ايضاً بان اهل الكويت ينطقون بالجمع العربية — احياناً — كنطق اهل القاهرة اي جيبا قليلة التعتيش ، وهذا الزعم لا دليل له في اللغة بل لتجد لهذه الكلمة نظيراً مطلقاً . والحق ان كلمة « جاري » ليست عربية كما ظن الاستاذ سيف بل هي كلمة هندية ، وذكر الاستاذ سيف ان الذي جلب الدراجة اي « الجاري » الى الكويت جلبها من الهند ، فلمل الذي جاء بها جاء باسمها معها .

(8) ذكر المؤلف كلمة « الببال » اي شاطئ البحر ، وقال انها كلمة تركية اصلها « يول » . وهذا وهم اخر من المؤلف فالكلمة عربية مفصحة واسمها جال ثم قلبت الجيم ياء على عادة الكويتيين في نطق الجيم . ونطق الجيم ياء يضطرد في اللهجة الكويتية بما عدا الكلمات الحضارية الحديثة والكلمات الاسلامية مثل جامعة الكويت — صلاة الجماعة بفتح الجيم على نطقها العربي (انظر تفصيل هذا في كتاب خصائص اللهجة الكويتية للدكتور عبدالعزيز مطر) . هذا وقال ابن منظور في لسان العرب — مادة « جول » : الجول والجال والجيل الاخرة عن كراع ناحية البئر والتبر والبحر ... وجالا الوادي جانباً مائه ، وجالا البحر : شطاه ، والجمع الاجوال .

(9) تحدث المؤلف عن بعض التعبيرات اللغوية الشائعة في اللهجة الكويتية مثل « حرام زرام » و « حلال بلال » و « خلاص ملاص » فقال عن التعبير الاول « لفظة الحرام معروفة ضد الحلال ، واما لفظة زرام فلم اجد لها في كتب اللغة العربية ذكراً بالمعنى المعروف عندنا وهو شدة تحريم الشيء . » وقال عن التعبير الثاني « .. والحلال المباح ولم اجد في كتب

ملكية الشيء للمعطى له وإن احدا
 لن ينزاعه فيه . ومن الأمثلة الأخرى
 « كَلَّشَ يَلَّش » فكش معناه بنشانا
 او مطلقا ، أما ملش فاتباع لها ،
 ويدخل ضمن هذا الباب قولهم في
 اللهجة الكويتية « خَشَرَة مَشَرَة »
 و « سَلَحَ مَلَح » وخَشَرِي ومَرِي وغير
 ذلك ، ومنها ما ذكره الأستاذ سيف
 بَلَّال .

الكويت — خالد الهلالي

أيضا قول العرب « هذا الشيء لك
 « جِلَّ يَلَّ » وهي نفس الكلمة الكويتية
 كَلَّالَ يَلَّالَ . وقولهم « هو سَحَّحَ
 بَحَّحَ » وهذا شيء كثير بثير ، ورجل
 ضال تال . و « وقع في حيص بيص » .
 والأمثلة كثيرة .

أما في اللهجة الكويتية فمن أمثلة
 الابتاع قولهم « هذا الشيء لك ححك
 مكك » بنطق القاف كالفا فارسية .
 فالحق معروف (أما الحق) فلا معنى لها
 وإنما جيء بها لتأكيد المعنى وأثبتت

اللغة العربية ذكرنا للفتلة بلال يفتح
 الباء بالمعنى المعروف عندها . . . وقال
 عن التعبير الثالث « لفتلة خلص يفتح
 الخاء واللام تعني عندها نفاذ الشيء .
 وفي اللغة العربية خلص خلوصا نجسا
 سلم . وخلص من القوم اعتزله .
 وأما لفتلة خلصا فمعنى عندها نهلية
 الشيء مشتق الاسم من فعل خلص .
 ولفظة ملص يفتح الميم واللام تعني
 عندها انفلت انسل ، وهو نفس معناها
 في اللغة العربية .

والحقيقة أن هذه التعابير
 وإمثالها مما يعرف في اللغة العربية
 باسم الابتاع ، والابتاع ظاهرة لغوية
 تحدث عنها علماء اللغة القدماء ، ومنهم
 ثعلب في مجالسه والثالي في أماليه
 وابن دريد في الجوهرة وأبو عبيد
 القاسم بن سلام في الغريب المصنف
 وغيرهم . وقد صنف أبو علي الفارسي
 كتابا في هذه الظاهرة طبع ضمن
 مطبوعات المجمع العلمي العربي
 بدمشق وقد لخص السيوطي أقوال
 العلماء في الابتاع في كتابه الزهر
 « الباب الثامن والعشرون » . ويرد
 الابتاع في اللغة العربية لتوكيد المعنى
 وتقويته . قال ابن فارس « الابتاع
 هو أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنهما
 أو رويها أشباعا وتأكيدا . وروى أن
 بعض العرب سئل عن ذلك فقال :
 هو شيء ندد به كلامنا » . وقال
 الكسائي . . . أنها سمي ابتاعا لأن
 الكلمة الثانية أنها هي تابعة للأولى
 على وجه التوكيد لها ، وليس يتكلم
 بالثانية منفردة ، ولهذا قيل ابتاع .
 وقد يفيد التابع شيئا وقد لا يفيد ولذلك
 لما سأل ابن دريد أبا حاتم عن معنى
 بسن في قول العرب هذا كَسَنَ بَسَنَ
 أجابه قائلا لا أدري .

ومن أمثلة الابتاع في العربية
 قول الرسول (صلم) في الشبزم وهو
 ضرب من الشبج « أنه حار يار »
 فكلية حار معروفة ، ويار ابتاع
 لها جيء بها لتوكيد المعنى وأعطاه
 دلالة معنى أقوى . ومن الابتاع

مجلة الحق (تحية لمجلة البيان) الزاهرة في الكويت

مجلة الحق يا ضياء علانا
 أنت بدر سكب نوراً بهيا
 أنت ورد يفوح بالمسك عطرا
 أنت شوك يتخر في أعين
 فاشمخي في الطريق دما أبيضاً
 أنت ابهجت هذه الاكوانا
 كي تنيري ظلامنا ودجانا
 يترامى في أرضنا وسمانا
 الحقد ويرمي سهامه في عدانا
 يرسم العدل ثم يحمو الهوانا

ايه يا باقة الورود ويا
 كم اناس غذبت من نبعك
 منهم الكاتب الكبير ومنهم
 فانهجي نهجك السديد فلولا

ايه يا باقة ولا زلت رمزا
 هذه القدس قد شكت من عدو
 فاطردي الغاصب الجسور فانا
 واستغفري بركان ثورة عزم

يتسامى ورائدا عنوانا
 عاث فيها بجوره واستهاننا
 نفتفيك ونقحم الميدانا
 واطردي الوغد خصمنا والجنانا

عبد الأمير الخضري

نافورة

شمس
خليل
الهنداوي



وفسّارة فجّرت ماءها
فلا أنت تدري : أنور يسيل
ففوج من النور يبغي الصعود
تثرثر حتى يملّ السكوت
عليها قوارير مصفوفة
يحفّ بها الشرب حول الكؤوس

كأسلاك نور تزيد السما
عليك ، أم الدمع منها همي
وفوج تكسر حتى ارتمى
وتذرف عينا ، وتشدو فـا
تغرغر أنفاسها كلّما . . (١)
فلا يحتسون بها مأثما . . (٢)

أفوّارة الماء فعم البكاء ؟
أتشكين خوف النوى مثلنا
أدأبك هذا طوال السنين

وأنت الغنيّة ظلا وما
وشمل الحوى لم يزل محكما
فلا تشكين لغوبا ، وما . .

فقلت - وقد أرسلت دمعها -
غدا ، تقفر الدار من أهلها
وأبقى هنا ، في الفراغ الرهيب
حياتي شدى ، ماله غايبة

« رويدك ! ليت حياتي كما
ويشكو الحمى جور أهل الحمى
وأوراقها ترتمي نوما
فأني التفت أرى مأثما
أما لحياتي انتهاء . أما ؟ »

فقلت : « رويدا . سيأتي الربيع
اليه ترقّفين مجلوة ،
فمن أنجم رصّعها الزهور
شمت الحياة على حبّها
ولكننا نحن . . هل نلتقى ؟ »

وترقص أزهاره نغما
فتجتمعان كما كنتمنا
تناجي . وراء السما ، أنجما
ومثلك ما أن أن يأمّا
ويرجع مجلسنا مثلما ؟ »

(١) القوارير : التراجيل

(٢) رمز الى كؤوس الشاي

الملف

مزيان
مزيان

- ايفران من أجمال المصايف في المغرب الجليل
- شعوني يشتم القومية العربية في المطار
- اللغة العربية مهددة إن لم ينهض بها أبناءها المخلصون

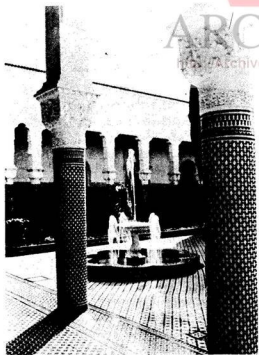
التعريب في العالم العربي» . وكم أود ان تنفي لفظة العالم هذه فهي لفظة واسعة جدا مضلة جدا يستعملها كثيرا من يحاربون عبارة « الوطن العربي » وعبارة الامة العربية ولقد دار جدل طويل بيني وبين رئيس وفد احدى الدول العربية اتى اجتماع اعلامي بجامعة الدول العربية في شهر مارس سنة ١٩٦٤ وكنت في ذلك الوقت وكيلًا لوزارة الارشاد والبناء ، لاعتراضي على عبارة العالم العربي واقترحي بان نستعمل بدلا منها عبارة الوطن العربي ، وبعد التصويت وافق المجتمعون على اقتراحي وسجل رئيس وفد تلك الدولة ، تحفظه كالعادة !!

بعد السهرة الجيلة الممتعة التي قضيناها في ضيافة القائم باعمال سفارتنا في الرباط ، واستمتعنا فيها بالنشجي من الكلام ، واللذيذ من الطعام ، في صقوة كريمة من المخاربة عدنا الى فندق حسان حيث نقيم ، ونام من شعر بنا بالحاجة الى الراحة والنوم ، وانطلق من رأى نفسه قادرا على الانطلاق في شوارع الرباط ، وفي صباح الاثنين الرابع من مايو قصصنا السفارة ، فلقد كان علينا ان نزور وزير الثقافة في مكتبه بالوزارة ولم ننس بعد زيارته ، زيارة العالم الجليل الاستاذ عبدالعزيز ابن عبدالله المشرف على معهد التعريب التابع لجامعة الدول العربية ويسمى هذا المكتب « مكتب تنسيق

الاستاذ السقاف من قبل ؟! فرد الشاب كيف لا اعرفه انني ما زلت اذكر صولاته وجولاته في النادي الثقافي القومي في الخمسينات ! ولقد تحدثت الله في نفسي لاهتمام ذلك الشاب بنشاط النادي الثقافي القومي ، فلقد اضطلع النادي في ذلك الحين بمعبء خطير ليعرفه الا المهتمون بالنشاط الثقافي والفكري اما الجهلة والعارفون في الملايين فهيهات يعرفون ذلك النشاط القومي الرائع . ولكن الشاب الذي يدرس في بريطانيا دراسة عليا على نفقة الكويت بالطبع تفرز نجاة في الحديث ليعلم عن سبب اهتمامه بنشاط النادي الثقافي



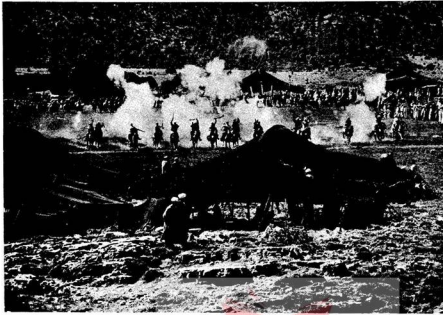
بقلم أحمد السقاف



منظر لجزء من قصر التاري في مدينة فاس .

ولا شك ان لفظة العالم هذه تصلح لان تتلحق على مجموعة الدول الاسلامية مثلا او مجموعة الدول المسيحية او مجموعة اية دول مختلفة في اجناسها وقومياتها كان يقال مثلا العالم المسيحي او العالم الاسلامي اما ابناء الوطن الواحد ممن يتكلمون لغة واحدة ويمتزون بتراث واحد ويتشاركون في السراء والضراء حينما تحل السراء او تحل الضراء فان من الاجحاف ان تطلق على وطنهم مهما عالتى من التجزئة لفظة العالم . ولقد آن الاوان لكي نستعمل الالفاظ الصحيحة الدقيقة في مفاهيمنا القومية ، وعلى ابناء العروبة المؤمنين باجسادهم الضخمة وبنراتهم الانساني الهائل والمؤمنين في نفس الوقت بكرامة امتهم وبحقها في ان تعيش حرة كريمة ، ان يدركوا الاخطار التي تهدد مستقبل امتهم ومستقبل اجيالهم وعليهم وحدهم ان يتنهبوا لدفع هذه الاخطار قبل ان تستحل . ان الامة العربية صارعت الاستعمار الغربي عشرات السنين ، ولقد استطاعت ان تحرر نفسها من شرور هذا الاستعمار وماكنه بعد تضحيات جسيمة وخطيرة وعليها اليوم ان تصون استقلالها وتحررها ، والا ترتقي في احضان اي نوع من انواع التبعية او الاستعمار . اننا ندرك ان الاستعمار الغربي ما زال متمثلا في اسرائيل ولكننا ندرك في نفس الوقت اننا منتصرون طال الزمن ام تضر شريطة الا يضيع الجهد في اجتهادات لا تنقذ الا الى الصراع والضياع .

اني لوائق من ان الغاري الكريم ان يعيق صفه بهذا الاستطراد ، فانا في كتابتي عن المغرب لست معنيا بتقديم تقرير عن الرحلة لجهة من الجهات ، فلا بد والحالة هذه من ان اكتب كافة الخواطر التي تمن لي اثناء الكتابة ، واذا كان ذلك كذلك فان من المهم جدا ان اشير الى سبب اهتمامي بمثل هذه الاستطرادات . اننا اليوم نشاهد امام اعيننا البلبلة التي يصابني منها كثير من الشباب بسبب اجتهادات فجأة غريبة . ولقد ركز هؤلاء بايديهم ، دون ان يفطنوا ، مظلات فوق رؤوس الشعبويين والحادثيين ليقبعوا تحتها ويسددوا سهام حقدهم وشعوبيتهم نحو المسيرة العربية الظافرة ، وان انس فلن انسى ذلك المساء من شهر اكتوبر الماضي وكنت انتظر بمكتب ضابط الجوازات لحظة السفر الى عدن لاقوم بالرحلة المعتادة في اليمنين الشمالي والجنوبي متقدما منشآت دولة الكويت هناك ، فني ذلك المساء سلم علي شخص يعرفني جيدا واعرفه جيدا وقد فهمت منه انه قادم من لندن بعد ان قضى فيها اسابيع وكان بصحبته شاب كويتي يدرس دراسة عليا في بريطانيا في حدود الثلاثين او انه قد تعدها قليلا وقد قدمه الي ثم قال له لم تعرف



المغرب مزيات مزيات

منظر من مصيف ايران الجبل والمنظر يمل ايضا شيئا من العلب الفروسية .

الارض ، وعندها ضحكك باستهزاء وقتلت للشباب الذي يدرس دراسة عليا في بلاد الانجليز على نفقة الكويت : اسمع يا انتك وجدت في الماركسية مظلة تستظل تحتها ومن تحت هذه المظلة تحاول ان تسدد سهام حقدك وسهام شعوبيتك نحو القومية العربية ، انني اقترح عليك ان تحل حقائبك وترحل عن الكويت ان كنت غير مستعد لان تعطيلها ولاك ، ولكنه رد بكل صفاقة قائلا انني باق هنا ان رسالتي في الكويت وسترون في المستقبل ، ونهض ومد يده ليصافحني فرفضت ان امد يدي وخرج وهو يتهكم على العروبة وعلى لغة القرآن كاشفا هويته بشكل عجيب مثير . ولا شك ان الماركسية التي تشدق بها هذا الجاحد لفصل الكويت وخسر الكويت ما هي الا مظلة كما قلت للاختفاء تحتها حين يشن حقه الكريه على القومية العربية ، ولقد شجع هذا وامثاله من الشعوبيين على مهاجمة القومية العربية علنا والتفني بالماركسية التخلخل الواضح في صفوف القوميين ، بعد دعوة بعضهم الى اجتهادات لن تزيد الصفوف المخلصه سوى انقسام وفرقة على ما تعانيه اليوم من انقسام وفرقة ، ولقد آن الاوان لمراجعة صادقة شجاعة لبعض المواقف المؤسفة .

لقد قلت ان الامة العربية تواجه

القومي وتقال : يجب ان تعلموا ان ذلك الوقت قد ولى الى غير رجعة وان في الساحة اليوم رجالا يقفون لكم بالمرصاد . لقد خدعكم ساطع الحمري بخزعبلاته فرحتم ترددون شعارات القومية العربية وتطاول بعضكم على اقدم بيت منا يهاجمه دون سبب ، لقد ولت القومية وابعد عنها المفكرون الحقيقيون منكم . والحقيقة اني دهشت فليست هذه بقضية صالحة للحوار في موضوع خطير كالقومية العربية ، فالقضية واضحة والكتاب يقرأ من عنوانه كما يقول المثل الدارج وهذا الشباب الذي يدرس دراسة عليا في بلاد الانجليز كما يقول لا يهيمه الحوار ولا يريد ان يفهم شيئا في القومية ومع ذلك فقد رايت ان ارد عليه وقتلت له : يجب ان تعلم ان القومية لا تهاجم احدا لكونه في الاصل من بلد غير عربي ان القومية لا تقوم على التعمص ، انها المشاركة الوجدانية الصادقة في مسيرة هذه الامة ، انها الشعور بالولاء للعروبة والكويتي عندها من حل الولاء للكويت والولاء للامة العربية في آن واحد فندسثور الكويت بنص على ان شعب الكويت جزء من الامة العربية ، فاذا كنت تحمل الولاء للكويت فانت كويتي ، وما كنت اصل الى هذا الحد حتى انتجر غاشبا وتقال لماذا يا استاذ تفرض علينا الولاء للكويت ان الولاء يجب ان يكون للماركسية وللطبقات الكادحة في كل مكان من



رافقتا في رحلتنا الى فاس اخونا محمد السداح القائم بامال سفارتنا في الرباط ثم عاد في الليل الى الرباط ليكون في مقر عمله وفي مساء الاساتذ ادريس الكتاني وهو استاذ بجامعة الرباط خفيف الظل واسع الثقافة وشاهد في الوسط يحمل حقيبة والى يمينه الاستاذ البصري والى يساره كاتب المقال ثم ابو احمد فابو سمعود ، ولي اقصى اليسار صالح الابراهيم شقيق الاستاذ البصري ومرافقه في الرحلة ، وقد اخذت الصورة امام فندق بني حزين في فاس .

سبناه لكثرة السباح . وفي الثانية والنصف توجهنا الى كلية الاداب للقاء احاديثنا الادبية وتحدث كل واحد منا فيها راء مفيدا واخبرت تلك الاسمية الجميلة حتى الساعة الثانية عشرة ، لقد كانت قاعة كلية الاداب في فاس مليئة بالاساتذة الكبار وبالطلبة والطالبات ، وكان كلنا هم واحد منا بالتوقف طالبة الجمهور بالزبد وبعد الانتهاء احاط بنا الطلاب والطالبات وامطرونا بالاسئلة الدالة على الوعي والانتع .

اما في الصباح فقد تمنا بجولة في معالم المدينة وكان دليلنا الاستاذ الجليل ادريس الكتاني ، وهو لا يترك صغيرة ولا كبيرة الا اشار اليها وشرح كل ما يتصل بها من قريب او بعيدانه يعرف تاريخ كل بيت وكل جامع وكل حائط او شباك في بلدة فاس . والغريب في الامر انه لا يكل من الشرح الطول ، ويعجبني في الاساتذ الكتاني حرصه الشديد على اللغة العربية فهو لا يتكلم الا بالفصحى ومن المستحيل ان يلحن مفك الله يا استاذ ادريس وحياتك وبصياك واكثر من امثالك في شبيب العروبة بالمغرب بصياك .

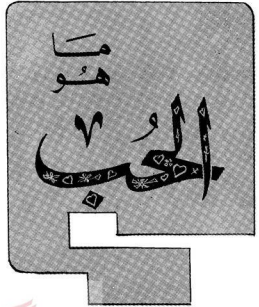
— يتبع —

الكويت : احمد السكاف

تحديات صعبة وكل جهد يبذل بعيدا عن مواجهة هذه التحديات يعتبر جريمة في حق هذه الامة . ان الصهيونية العالمية والاستعمار الغربي وعلى رأس هذا الاستعمار الولايات المتحدة الامريكية لا يريدان للامة العربية سوى التشتت والضياع . ان بعثة الجهد القومي باجتهادات غريبة مرفوضة خدمة عظيمة لاسرائيل ولن يفتون وراء اسرائيل .

انني لا ادري كيف اعترض اليك ايها القاري العزيز عن هذا الاستطراد الطويل وعذري اليك اني اشعر بالواجب تجاه الامة العظيمة التي ننشر جميعا بالانتماء اليها وان هذا الشعور يفرض علي الدفاع عنها ما استطعت الى ذلك سبيلا . ولتعد الان الى الحديث الخطير الذي دار بيننا وبين الاستاذ العالم عبدالعزيز ابن عبدالله المشرف على مكتب التعريب بالرباط لقد تحدث الرجل حديثا يوجب التفكير الطويل والعمل الجدي السريع كيلا يفوت الاوان ونندم حيث لانفجع التسدم . لقد قال لنا ذلك العالم الكبير ان العلوم التكنولوجية تنفذ كل يوم بعثات من الاسماء لاختراعات حديثة وان هذا التطور العلمي الرهيب لا نتابعه بحذية وحيوية لنضع لهذه الاسماء ما يقابلها من الاسماء في العربية واذا استمر الحال على هذا المنوال دون الالتفات السريع فان لغتنا العربية ستصبح لغة متحجرة ميتة ، ونوه الرجل بالاختراعات الحديثة وما يصاحبها من اسما جديدة في دولتين اعطاهما الاولوية في هذا المضمار هما المانيا الغربية والاتحاد السوفياتي وسدد على وجوب يقظة العرب لهذا الامر الجلل ، ان كانوا حريصين على بقاء لغتهم وبقاء الروابط التي تؤلف بينهم، وارانني مضطرا لمنادة القادرين على العمل ليعملوا قبل فوات الاوان ، ويوسع هؤلاء ان شاعوا ان ينشئوا مركزا ضخما لهذه المهمة يتفرغ للعمل فيه جهابذة العلم واللغات وتخصص ميزانية سخية لهذا العمل القومي، اما الاعتماد على مجمع اللغة العربية فهو غير كافويكفي ان تعرف ان اعضاء مجمع اللغة غير متفرغين .

بعد زيارة الاستاذ عبدالعزيز بن عبدالله توجهنا الى فندق حسان لتناول الغداء بدعوة من وزير الثقافة وفي الثالثة والنصف غادرنا الرباط متوجهين الى فاس ومررنا بغابات عظيمة منها غابة المعمورة الشهيرة كما مررنا بحقول ساهرة اخاذة وعرجسنا في طريقنا على «ايفران» وهي لا تبعد كثيرا عن فاس انها من اجمل المناطق ومصيف رائع من مصايف المغرب الجليل واسترحنا في «كازينو» تديرها ابراة فرنسية من فضلو البقاء على المودة الى الوطن ثم واصلنا السير حتى وصلنا فاس في الساعة والنصف ونزلنا بفندق «جراند اوتيل» وهو فندق جميل نظيف لم نجد



<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

مشاعرها .. ويقول هيجو : « الحياة زهرة عسلها
الحب » . ويقول شوقي : « الحياة الحب والحب
الحياة » . ويقول الاثر الشريف : « الحب طائر لا يلتقط
الا حب القلوب » ..

لذا نجد ان اي مؤلف او اية رسالة في موضوع
علم النفس العملي لا تكتفي الا بالتفويه عنه ، والاهتمام
بتوجيه الانظار اليه . فعلم النفس معناه الواسع
العريض العام ، هو الحب ، لان الشخص الذي يتوصل
الى معرفة او دراية بفرديته مع جميع الاشياء الفردية
الآخري ، ويكون على علم بالحكمة الرقيقة ، الحميدة ،
الودودة ، الجبيسة ، التي تكن وراء كل مظهر من
المظاهر ، لا بد سيفرق في عطر الحب ، الذي سيفقدو
المعاطفة المتسلطة ، والاحساس المسيطر عليه ، ونجمه
الهادي ، الساطع ، في الحياة ..

ولكني ساوجه اهتمامي في هذا البحث ، بصفة
خاصة ، الى علاقة الحب بين الرجل والمرأة . والانسان
السوي انها يجلس على عرش هذه العلاقة عاليا فوق
كل شيء آخر في الحياة . فهي الحافظ والدافع من خلف
كل حركة انسانية . فالرجل يتحمل الجوع والبرد ،
ويستعين بالخطر ، ويصمد امام الموت لا يخشاه في

ما احدى ان يكون اول ما يكتب في « البيان » عن
الحب ..
الحب ؟ .. وهل هناك شيء احدى واشهى من
الحب نستهل به الحديث عن الاسرة السعيدة ؟ .. وكيف
تكون سعيدة من غير حب ؟ ..

انه شيء جميل حقا نستبشر جميعا بالاستهلال
به . بل انه اشهى واعذب شيء في الحياة . واسمى ما
في الوجود طرا . فهو مبدأ كل شيء ، وسبب كل شيء ،
وغاية كل شيء .. وهو اقدس الحقوق ، والحلقة
الذهبية التي تربطنا بالواجب .. وهو سر الله اودعه
قلب الانسان . فهو ذكر وحيد ، وهو عبادة وهيام ..
وهو اجمل حق في الحياة . وهو المحور الذي يدور حوله
كل مظهر اجتماعي .. ولذلك يقول الانجيل : « احبوا
بعضكم بعضا » .

ولقد ابداع الكتاب والشعراء في تعريفاتهم عن
الحب .. يقول عباس محمود العقاد : « ان خلاصة
التجارب كلها في الحب ، لانه لا تحب حين تختار ، ولا
تختار حين تحب ، واننا مع القضاء والقدر حين نولد
وحين نحب وحين نموت » . ويقول جبران : « الحب
وحي يسقط من السماء على النفوس الضعيفة فترقى

ومعناه أبعد كثيرا من التمييزات الجنسية الفيزيكية .
انه يعني التفاعلات الفيزيكية للمنبهات السيكلوجية ،
او بمعنى آخر انه يعني التأثيرات الفيزيكية لحالات ثابتة
من العقل او اطوار من الوعي .

ان الله الواحد الاحد خلق من كل شيء زوجين .
فمن عجائب صنعه ، وبدائع حكمته ، وآثار قدرته ،
خلق من النبات والانسان والحيوان ، وبما لم يكن
الناس يعلمونه ، ازواجاً يقترب بعضها ببعض ، ليحصل
من تزاوجها انبات الثمر ، وبقاء النسل ، ورفي العالم
في مدارج الحضارة والعمران . ولقد اشار سبحانه
وتعالى الى هذا التزاوج في مواضع كثيرة من كتابه
العزیز اذ يقول جل شأنه : « ومن كل شيء خلقنا
زوجين لعلكم تتذكرون » (٢) . و « والله جعل لكم من
انفسكم ازواجاً » (٣) . و « والله خلقكم من تراب ثم من
نطفة ثم جعلكم ازواجاً » (٤) . و « من كل الثمرات جعل
فيها زوجين اثنين » (٥) . و « اهتزت وربت وانبتت من كل
زوج بهيج » (٦) . و « اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها
من كل زوج كريم » (٧) . و « وانزلنا من السماء ماء فانبثنا
فيها من كل زوج كريم » (٨) . و « والقينا فيها رواسي
وانبتنا فيها من كل زوج بهيج » (٩) . و « هو الذي خلقكم
من نفس واحدة وجعل منها زوجها » (١٠) . و « فيها من
كل فاكهة زوجان » (١١) . و « قلنا احمل فيها من كل
زوجين اثنين » (١٢) .

فالازواج فيها تنبت الارض ينشأ من التلقيح ، اي
انتقال لقاح الذكر الى المؤنث . والازواج في النفس ،

سبيل الحصول على الشهوة ، او الزيادة في الخبرة ،
او الوصول الى الجاه ، ولكنه في قاع اعماق قلبه انسا
يرغب في هذه الاشياء جيئسا ويبتغيها ويسعى الى
تحقيقها من اجل ان يمنحها لامرأة تقدر قيمتها حق قدرها ،
فتبذله هذه المنحة بحبها .

والمرأة بدورها تعمل جاهدة على ان تبدو جميلة
حسنا ، وتسعى لتتعلم الفنون التي تعينها وتؤهلها
لكي تكون ربة بيت مدبرة ، وتساأل ان يجعلها هذا
التحصيل والتتقيف قادرة على اكتساب قلب رجل مثالي
لتحتفظ به لنفسها .

ولا يخلو الامر من ان يكون هناك بعض شواذ
ظاهرة لهذه الحالات العامة . ولكن من وراء هذه
الشواذ الواضحة تكن الرغبة السامية لملاقاة حب
مثالي — قد تجعل السجين يتشبث بعزم اكيد عنيد
لتدبير خطة سر او عمل في الحياة . . حتى ولو صادفته
بعض تجارب مشؤومة لتثبط عزمه وتخذ هبته
وتجعله يعيش حياته على الامل . الا انه يظل متأهبا
ابدا للثوب الى الامام بتفيزات سريعة بمجرد وجود
مائل او مطمح يتوصل به الى تحقيق غرضه واشباع
رغبته .

كل هذا لان صلة الحب بين الذكر والانثى انما
هي تكملة لقتلون الحياة . والحب اسنى وارقي نشيط
في العقل ، وعلاقة حب الشخص اعظم تعبير . .
والجنس ليس مجرد تدبير فيزيكي للتناسل . . وكويبيد
ليس « الها صغيرا حقودا او مؤذيا يربط فردين ببعضهما
ثم يتركهما وشأنهما » . فالجنس مظهر نفسي اوجده
ورثته ونظمه مدير الكون جميعا ، كجزء من النظام
التطوري ، الارتقائي ، من اجل الغرض المباشر ،
السريع ، لجلب السعادة لكل من الرجل والمرأة على
السواء .

ومن الطريف هنا ان نوه بما جاء في مقال للكاتب
السوفييتي ايجور زابيلين نشرته مجلة «موسكنا» من
انه قد آن الوقت ليعترف الاتحاد السوفييتي رسميا
بالحب ، وقال ان الموسوعة السوفييتية الكبيرة التي
تتألف من ٥١ مجلدا لا تحتوي على كلمة «حب» . وقال
ان الحب سيكون ضروريا في المستقبل حين يسافر
الانسان الى الكواكب الاخرى ويبدأ في استيطانها اذ انه
سيكون الرباط القوي الذي يعتمد عليه البناء الاسري (١)
واذا قلنا ان الحب سيكلوجي ، نقول انه ايضا
فيزيكي . وعلى المثال الذكي ان يقر ويسلم بهذه الثنائية .
ولذلك غائي في هذا البحث ساعالج الوجه الفيزيكي من
الموضوع كما ساعالج الوجه السيكلوجي منه . بل ان
التعبير « الوجه الفيزيكي » كما استعمله هنا ، يعني
شيئا اكثر من كلمة « الفيزيكي » التي نستعملها دائما .

بقلم
عبد العزيز
جسادو



باتصال الذكر بالانثى اتصالا جنسيا . والازواج فيها
لم يكن يعلمه الناس من قبل حتى اظهره ارتقاء العقل
البشري كالتفكير الكهربى ، الحادث من اجتماع قوتين :
احداها موجبة والاخرى سالبة .

واذا تعمقنا العالم من ابعثانه من الجوهر او
المادة الاساسية التي تتربك منها المادة الفيزيكية ،
يتضح لنا جلينا ان الالكترونات ذات التدويم (١٣) السريع
تتربك من ذرات . وهذه الالكترونات عبارة عن نقط
صغيرة ودقيقة جدا من الطاقة الكهربائية في اثير الفضاء
الكلتن في كل مكان . وان بعض هذه النقط من الطاقة

وحدها ينتهي بالتصدع والشقاق . اذن فما الحل لهذا اللغز ؟ وما السر في هذا كله ؟ .

ان كل انسان مغنطيس حي . والمغنطيسية الحيوية ، او الطاقة العصبية ، انما تفيض وتتدفق باستمرار خلال الجسم حاملة رسائل العقل الموضوعي والعقل اللاشعوري بوسائل مختلفة للمعاونة في العمليات والتنسيقات الحيوية . والجسم البشري ، كأي مغنطيس آخر ، سرعان ما يحاط « بالمجال المغنطيسي » ، وبمعنى آخر ، ان المغنطيسية الحيوية لا تملأ الجسد فقط ، ولكنها تشع منه في جميع الاتجاهات . اما مدى درجة الاشعاع ونوعه فانه يختلف باختلاف الاشخاص . ووجود المجال المغنطيسي حول مغنطيس من الصلب شيء معروف . ومن السهل اثباته ، لان اية قطعة من الحديد او الصلب اذا دخلت في هذا المجال سرعان ما تنجذب . اما المغنطيسية الحيوية فهي قوة ادق والطف واكثر رقة من المغنطيسية المعدنية ، ووجودها ليس من السهل اكتشافه او ملاحظته بوساطة الاجهزة الفيزيائية . ومع ذلك فوجودها في داخل الجسم البشري وحوله معروف لدى علماء الطبيعة الذين توصلوا بقدر كبير من النجاح الى تصوير مجال الاشعاع المغنطيسي .

ونفس هذا المجال المغنطيسي المشع حول الجسم البشري انما يقوم بحل لغز صلات الحسب التي بين الأشخاص . فالاشعاع ليس متائلا في كل الحالات ، فهو في الحقيقة يختلف باختلاف الانفراد كاختلاف المميزات والصفات الشخصية الأخرى .

وطاقة المغنطيس المشع تحتوي على توجهات في الاثير ، مثلا في ذلك كمثل الكهرباء المشعة ، والحرارة والضوء . فلا يمكن ان يصنع عدد من الشموع من مزيج مركب من مواد مختلفة بحيث تعطي احداها لونا اخضر والاخرى لونا احمر والثالثة لونا ازرق ، وهم جرا . فهذه الالوان المختلفة معانها الدقيق ان لهيب شمع واحدة يمكن ان يحرق الاثير بطول موجة ، في حين ان الاخرى يمكن ان تشرع بطول موجة أخرى ، كما يحدث تماما في اختلاف اوتار البيان حين تثير الهواء باطوال موجات مختلفة . والموجات الجوية التي تحدثها اوتار البيان تحدث وتكون في الاذن الاحساس بالنغمات المختلفة ، في حين ان موجات الاثير التي تحدثها الشموع تكون في العين الاحساس بالالوان المختلفة .

والموجات المغنطيسية المشعة من مختلف الاديئين تتنوع وتتعدد بدرجة اكبر مما يمكن ان يحدثه اي مزيج من المواد الكهربية في مجموعة من الشموع . وخاصة هذا الاشعاع يحدد الحالة الفيزيائية للفرد واتجاهه العقلي . فحين يكون هناك شخصان تتواءم فيهما الاشعاعات المغنطيسية تتم بينهما اواصر الالة ويكونان

سالب وبعضها الآخر موجب . وهذا الاختلاف في الاستقطابية ينتج عنه الجاذبية بين هذين النوعين من الالكترونات . ولذلك تبقى متجمعة لتكوين الذرة .

والذرات ايضا تنقسم الى نوعين ، احدها موجب والاخر سالب . كما ان الجاذبيات الناتجة يحدث عنها نوعان او اكثر من الذرات لتتجمع كلها معا وتكون الجزيئات من مختلف انواع المادة . ولتضرب مثلا بسيطا هو ان الجزيء من الماء ينتج بالامتزاج الذي يتم عن جاذبية ذرة من الاكسجين موجبة وذرتين من الهيدروجين سالبتين . وهذا ما نشاهده ايضا في الملكة المعدنية بأجمعها ، ايا كان شكلها او مظهرها ، فجميع الاشياء المعدنية تتربك من مجموعات مختلفة من الذرات عن طريق الجاذبية المشتركة والمتبادلة بين السالب والموجب .

وفي الملكة النباتية ايضا يبدو ازدواج الموجب والسالب واضحا للحواس بصورة ظاهرة . فالنورات المذكرة والمؤنثة تظهر دائما على نفس الشجرة او النبات ، ولكن بعض انواع النباتات — وبالأخص اشجار النخيل — يتفصل فيها الذكر عن المؤنث .

وفي كل هذه المظاهر الازدواجية من ذكر وانثى في الملكة النباتية نجد خلية التاني ثابتة ومستقرة وسليبة ، وعندها استعداد للتبول والتلقي ، وتجد خلية الذكر متحركة ومنقلة ونشيطة ولديها استعداد للتجم والتعدي ، فهي تتحرك وتنقل اما بالرياح ، واما بياها الانهار والسيول ، واما بالحفر في الأرض للبحث عن وليفها والفيها ، واما ببعض الحشرات كالنحل والفراش واما بغير اولئك مما هو معروف في علم النبات ، وبالاختصار ، فان خلية المؤنث سالبة ، وخلية الذكر موجبة .

اما الجنس الفردي فيظهر جلجا وبكل وضوح في الملكة الحيوانية ، ويبلغ اقصى نوه ورقبه الفنبوي بين البشرية في عالم الانسان . ففي الملكة المعدنية تتزاوج الالكترونات والذرات بجعل وبلا تبصر وبغير تمييز لجرد ان احدها موجب والاخر سالب . وفي الملكة النباتية تظل جاذبية الاستقطاب المضاد شاملة ومنتشرة ، الا ان مبدأ الاختيار يظهر وينتج — والنبات يقتصر بنوعه فحسب . . وفي ملكة الحيوان يبدو عنصر الاختيار اكثر وضوحا ، والتزاوج ينقل « سلم النعم » في الغالب من تشويش مطلق ونشاز تام الى حياة زوجية ليس فيها تعدد في الزواج او الزوجات . اما في عالم البشر فان عنصر الاختيار يند ويتسع الى ابعاد الحدود حتى يكون من العاليل الثابت ، المسائد ، المتفوق .

والبشر من كلا الجنسين ينجذب كل منهما الى الاخر بسبب اختلاف الاستقطاب . اما هذه الجاذبية العامة فليست حبا ، واي زواج يقوم على هذه الجاذبية

على صلة وثيقة ، فغالباً حول المغنطيسية الخاصة بكل منها وتتصل ببعضها ، فيشعر كل منهما بلذذة ونشوة من مصاحبة الآخر . وإذا حدث ان كانا من جنسين مختلفين فان كلا منهما سيتبع في حب الآخر . اما اذا كان الشخصان من مختلف الشعامتها المغنطيسية فهما يشمران بالتناثر والكره ، وكذلك الحال اذا كانا من جنسين مختلفين ، حتى ولو كان بين احدهما انجذاب الى الآخر ، فلن يكون هناك حب البمدى الصحيح .

وليس من الضروري ان تكون الاشعاعات المغنطيسية متشابهة تماما . فطول الموجة السائدة في شخص ان لم تلتف وتتوافق مع طول الموجة السائدة عند شخص آخر ، فان قانون التوافق سيستجيب لها ، فتنبع الحب تبعاً لذلك ، مثلها في ذلك كالوسيقى الناتجة عن توليفة متناسقة من نغمات مختلفات .

ربما يستغرب بعض القراء من هذا التحليل العلمي — المعلى — للحب ، ولكن الا يجدر بنا ان نعرف هذه الحقائق البسيطة ، ونلم بها ونقدرها ، لا سيما اذا كان الغرض منها تثبيت اقدامنا بروسوخ على طريق السعادة ؟ . ان الاراء المتألمة الغالبة تد تكون مناسبة بما فيه الكفاية وفي محلها ، الا اننا نعالج امورا علمية بطريقة علمية تحتاج الى فهم وذكوق سليم . ولكي نستمر في متابعة الموضوع بكياسة ولفظة ولفظة يحسن بنا ان نمرسف الحقائق ونقابلها بقصر .

واذا كان هناك فرد من الناس يشمر بان هذا البيان الفصل بما فيه من شرح بسيط للحقائق البسيطة يقل من احلى وارفع صفات المواطن الانسانية ، فلتسأله الم يكن هذا الشرع ادراكا واستيعابا جالسا اكثر من ان يكون قضية مسلما بها من قضايا المتطورين والمخندنين التي تعتبر الجنس مجرد جهاز فيزيقي

للتناسل . ان علاقة الحب المثالي بين الرجل والمرأة ارفع واسى شيء في الحياة طرا ، فهي كاي طاقة اخرى فوق الفيزيائية (١) ، يكتها ان تظهر بوضوح في الجسالم الفيزيقي فقط باسخدام المادة الفيزيائية وبلااستجابة للقوانين الفيزيائية .

وكل انسان سوي في مقدوره ان يعقد اوامر حب فردية صحيحة ويستمتع بها . والشخص الاعزب ، الذي لم يسبق له الزواج ، يمكنه ان يعقد زواجا مثاليا . اما الذي لم يسعد في زواجه ولم يوفق فيه فيمكنه ان يستخلص السعادة وينتزعها من تماسه . وعلم النفس العملي لايعترف بالتحديدات — فهو لا تحده حدود ، ولا تقيدته اية تيود . والمعل الباطن انما يمتلك كل الحكمة ، وكل القوة . اما الماسي التي تحطم تلوب البشر وتدمر حياة الانسان فهي بالنسبة للمعل الباطن كالمناكب في طريق عملاق .

والشخص الذي يتحقق من ان في نفسه الرغبة في علاقة حب صحيحة ، سواء اكان متزوجا ام غير متزوج ، يجب عليه ان يركز انتباهه على الصفة التي يريد بها ، ويجب ان يكون هذا التركيز ، كما في كل الحالات الاخرى ، سليما الى اقصى حد ، لكي يبعد عنه اية فكرة اخرى طارئة . وينبغي له في هذه العملية ان تثبت بسرعة ، ويظل امينا على فهمه وتحققه من ان المعل الباطن في مقدوره تحقيق رغبته الى ابدى غاية . ومن ثم عليه ان يريد ، بكل ما فيه من قوة الارادة ، وبكل ما لديه من تصميم المرید ، الصفة التي يتخيلها ويتصوره بهيئتها الكيالية يجب ان تكون له . . . ملكا له . . . وبهذا يجبع القوة والرغبة والارادة كلها معا . وحين تكون هذه الاشياء الثلاثة موجودة في مكان واحد ، وفي وقت واحد ، فلا بد ان تتم الرغبة وتكتل .

والخطوة الاخيرة هي ان تتأكد وتثبت من هذه الحقيقة بقولك : « ان عندي القوة ، وعندي الرغبة ، وعندي الارادة ، انها مكتملة عندي كلها ، ولذلك فسان صلة الحب المثالي التي احفظ بها في خيالي بمورتهنا ملكي ، وسأمتلكها فعلا في الوقت المناسب » .

وهذه الكلمات ليست في حاجة الى ان تعيدها او ترددها حزنيا ، وانما يمكن فهم كل ما تحمله من معاني وادراكه بلحظة واحدة من الفكر . وحين تتلقى هذه الصفات المشر البها في هذا القرار ستر كايها الى المعل الباطن ، الذي يسمى حينئذ ويعمل على جعل هذا الالقاء حقيقة موضوعية . ولن يتم سعيه هذا على وجه التمام والجودة فحسب ، ولكنه سيتم بطريقة تقيم بها المعل المطلق ، الكامل ، لكل من يهمل الامر . وستستجيب الى كل مثال ذرة من قانون الاخلاق .

عبدالعزيز جادو
الاسكندرية



- (١) جريدة الاهرام ١٩٦٦/١٢/٣ .
(٢) الاربابات ١٩ : ٥١ (٣) النعل ٧٢ : ١٦ (٤) غافر ١١ : ٢٥ (٥) الرعد ٢ : ١٣ (٦) الحج ٥ : ٢٢ (٧) الشعراء ٧ : ٢٦ (٨) الباقان ١٠ : ٢١ (٩) ق ٧ : ٥٠ (١٠) الاعراف ١٨٩ : ٧ (١١) الرحمن ٥٢ : ٥٥ (١٢) هود ٤ : ١١ (١٣) الدوران .
(١٤) لا تضر او تمل بالعلم الفيزيقي .

الزناينة

قصة قصيرة



بقلم
فاطمة
الناضر

كل شيء بدأ نننا ممقوتا ، مد بدأت الرطوبة
تزعج على المدينة الكبيرة .. المابقة برائحة المشاجر
والوقود ، ولانفحات المحال التجارية تترك وتنطفيء في
حركة دائبة . بدت الاشياء كالحلة في نظره عند
المنعطف ، ترى ، لماذا تبدو بهذه الصرامة هذا المساء !!
كانت على ما يرام منذ يوم واحد .. يوم واحد فقط !
واخذ يعد بلاط الرصيف المواجه لطابور لا نهائتي من
المحال التجارية ..

كان يحاول الهروب من هزيمته امام هذا العدد
الهائل من الرؤوس الخاوية ، او ربما كان يبحث عن
ممرات لفشله .. كل ذلك يمكن كالمكانية انزلاق قدمه
في بالوعة المجاري منذ قليل . لماذا تغلبوا علي ؟ هل
طفت الماديات على احاسهم فاصبحوا لا يشعرون
الا باللبس ؟! .. واخرج يده اليمنى ليلقط كسرة خبز
مفتتة على الارض ويضعها بجوار الرصيف .. ثم يتابع
سيره .. طالت بذهنه خواطر عديدة عن الشواب
والعقاب عندما سأل نفسه عن عدد الاقدام التي
سحقت تلك الكسرة من الخبز .. دون ان يحاول احدهم
.. الاتحشاء ليلقطها !! وعاد مرة اخرى الى موضع
الكسرة وتأمل القطع الصغيرة المبعثرة .. كم تشبهني
هذه الخبزة باجرائها المسحوقة .. شعر فجأة برغبة
لا تقاوم للتلذذ الى ساعة الميدان .. فوجدتها تشير الى
العاشرة والنصف ... انها تبدو هي الاخرى كتقطعة
نقود من فئة العشرة فلوس .. باستدارتها .. ونقوشها
.. العاشرة والنصف ودقيقة واحدة .. وتحرك .

سيارة فخمة جدا .. ينلمعها الشارع المنسق بلا
مبالاة .. رغم الفجأة التي احدثها بوقها قبل قليل ..
لماذا افكر بهذه الصورة الكريهة .. لقد قالت انها تحبني
.. وانا اشعر بصدق عواطفها فما الداعي لتعذيبها؟!
اف .. نحن ابناء هذا الجيل !! ولكن من الذي اخبرها
انهم طردوني من الوظيفة هذا اليوم ؟!

سيداتي .. سادتي .. نقضي بعض الوقت مع
هذه الاغنية .. هكذا اعلن مذياع بقالة قريبة ...
ستلتمس لي العذر حتيا .. فانا لم افعل ما يشين .. كل
ما قلته ان احيد ياتي الى الدوام متأخرا .. ويخرج
قبل انتهائه .. ومديرتنا هذه الدمية الغبية لا يعرف
كيف يسير امور الشركة .. ويختلس !! ولكن لساذا
اساء احد ففهم عندما صارحته بوجوب اخلاصه في
العمل .. واتهمني بالتعقيد .. عجيب ابرهم .. هؤلاء
الناس .. لماذا يفشيرون عندما تصارحهم بعيوبهم
باخلاص ؟! .. لقد طردوني من الوظيفة وليس لي اي
حساب لاني استندت من الصندوق مقبدا .. وانا لم

اعمل الا بنذ شهرين .. عندما اخرجني خالي من المدرسة لاعمل ..

مر امامه عجوز قبيح المنظر في هذه اللحظة ذكره بمنظر خاله وهو يطرده من المنزل منذ يومين .. عندما ناقشه في موضوع الريا .. وصرخ بوجهه انه ليس لصا .. بل ان اياه هو اللص .. استجيب كل ما في فيه من لعاب وبصق بقوة عندما نظر اليه العجوز .. كان مستعدا ان يمسك بخنثاه لو اعترض على بصقته ويقتله لو استدعى الامر فهو يكره كل ما يذكره بخاله الربابي العجوز .. ما زال العجوز ينظر اليه عندما استند راسه الى عمود النور وبصق .. تقدم منه بعد ان نظر اليه والى بصقته التي استقرت على الرصيف ... وقرب وجهه منه .. نعم ماذا تريد ايها العجوز ... الا يحق لي ان اعمل ذلك .. لا تعترض من حتي ان اعمل ما اشاء .. وما دامت البسقة لم تستقر على وجهك البليد فليس لك الحق ان تنظر الي هكذا !! ما زال العجوز ينظر اليه بقوة .. شعر بالخوف يسيطر عليه من هذه النظرة الغريبة .. ودلو بصفعه على يحول نظره عنه .. ونطق العجوز وهو يمسك بياقة قميصه .. انظر الى بصقتك ايها المتوه .. وحرره من قبضته واستدار الى بقالة قريبة .. تملكه رعب قاتل .. ايكن ان تكون هذه هي بصقته .. اثنا كتلة من الدم اللزج !! واتسعت عيناه وخلا وجهه من اي تعبير .. وفجأة .. رن في اذنه صوت المطرب حادا مريرا : * « كل حال يزول .. ما تظن الدنيا بعد حال .. تتحول من حال لحال » .. وتلقائيا وجد نفسه يفكر في صديقه عبدالله .. لماذا يصر على امتداح جمال وفاء بهذه المبالغة ؟ .. انها ليست جميلة على الاطلاق .. وهي تعلم ذلك جيدا .. وتحرك من جديد ..

مرة اخرى .. هالعالم مليان اسرار .. اسرار تحير الافكار .. دولااب الدنيا الدوار .. صاعد ... نازل باستمرار .. اجل ان عبدالله منافق .. وانا متأكد من ذلك .. تكادي من نفاق الوظيفين في شركتنا .. انهم لا يقدرون الوقت .. ولا يحافظون على النظام .. بالاس .. منح المدير احمد علاوة لانه امتدح قدرته في ادارة الشركة .. وحين صارحته بتدهور الشؤون الادارية صرخ في وجهي واتهمني بالتدخل في ما لا يعني ..

واحسن بصوت المطربساخرا هذه المرة .. ولعله يشاركه في اشياء كثيرة « اطفال يصيرون رجال ورجال يصيرون اطفال ورجال يظنون رجال .. ورجال انصاف رجال .. » وابتسم بالشمزاز ولح اربعة من

رجال الامن يتجهون ناحيته .. وتوقف .. ويكل بساطة يقبضون عليه .. ثم يصيح الشرطي في وجهه : تمال يا حرامي ! ارسم على وجهه تعبير ابله .. شعر برغبة لا تقاوم في الضحك .. اراد ان يضحك .. خصوصا وان الحادث يذكره بشهد تمثيلي من مسرحية محلية .. ولكن الامر يبدو جديا .. ولم يصق ا اربعة رجال يدفونه الى الاسام .. وعقدت الدهشة لسانه .. وتلاشت رغبته في الضحك .. فانقاد طائعا .. وحين ركب سيارة الشرطة كان صوت المطرب يشيعه : « وعلى ها المنوال .. تمر الاجيال .. وكل جيل يقول .. ها الحال يزول .. ومست كوع الشرطي خاصرته حين حاول اخراج لسانه من جيبه فلم يجد سوى مسة فلس .. وحانت منه التفاتة الى ساعة الميدان .. الثانية عشر والنصف ودقيقة .. »

— المحقق : اين كنت في العاشرة والنصف يا استاذ !!
— كنت في البشارع الذي قبضتم على فيه ..
— حسنا .. وماذا كنت تفعل ..!!
— كنت .. كنت .. اتأمل قطعة خبز وجدتها ملتصقة على الارض !!
ونظر المحقق الى كاتب المحضر متفهما ثم التفت قائلا :

— عيب يا استاذ .. عيب ها الكلام .. انت متقف !!
— والله العظيم .. انني قلت الحق ..
فصرخ المحقق قائلا : اذنمن الذي سطا على محل الجوهريات في اخر الشارع .. وجلس في حركة تمثيلية .. كأنه فسر كل شيء واثبت عليه تهمة السرقة!! فغر الاخر فساه بدفعة وتفكر بصقته .. وتفكر في جيبه الخاوية .. ومصدره الضمير .. وبجواب المدير حين يسأله المحقق عن تصرفاته في الشركة .. وطاقت بذهنه صورة احمد .. وهو يخرج قبل نهاية الدوام .. وعبدالله الذي تصافق من بيته عنده مناسط طرده خاله .. لقد سافر عبدالله ماين انا !! واسترجع منظر خاله وهو يطرده وينهمه بالصوموية .. تملكته رغبة في الضحك .. سيجد مكانا ينساج فيه الليلة ..
— وصرخ المحقق : من اللص .. من !!
— اتا !!
— واثبت الكاتب هذا .. في محضره !!

الكوتب — فاطمة القاهني

* مقطع من افنية عراقية .

خليل السكاكيني



١٨٧٨ - ١٩٥٣

الحكفنة الأولى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhril.com

شعر (سري) (١) و (سلطانة) (٢) اليوم ، وانه كان مرسلا بحيث كان يضفر كما يضفر شعر البنات ، واني كنت سمينا بحيث كنت مع تمصري كالكرة اتخرج تدحرجا ، وانا كنا نلعب مع اخوتي واولاد عمي في (حوش) الدار ونلّا الجو بامواتنا ، وقد كنا نسكن سنة في دارنا داخل المدينة ، وسنة في دارنا خارج المدينة .

وفي طفولته ارسله والده قسطنطني (٣) السكاكيني الى مدرسة الروم الارثوذكس ، لكنه تركها للطمّة اصابت وجهه من المعلم لغير ذنب ولا علة ، فدخل مدرسة اسستها جمعية (G. M. S.) بالقدس فكان دوما (الاول) بين لداته « ولم يكن في المدرسة احد اقوى مني جسبا فكانا في اوقات الفراغ نتصارع ، فكنت اصارع اربعة او خمسة معا ولم يكن احد يستطيع ان يزحزح قدمي عن الارض ، ولذلك كنت ذا نفوذ بينهم ، وفي عطلة المدرسة الصيفية كنت اشغل بالتجارة ، وكنت محبوبا عند كل من كان يشتغل هناك

الشعار الذي حملته السكاكيني صغيرا فثابا نكهلا .. واتخذ « دستور الايمان » قول المتنبي :

كذا انا يا دنيا اذا شئت فاذهبي

ويا نفس زيدي في كرائها قدما

فلا عبرت بي ساعة لا تعزني

ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما

بهذه الحكمة آمن السكاكيني ، وسار على هديها ، وامضى العمر متحديا دهره بخلق جيوخ ونفس ملؤها الصلف والاعتزاز ، منشدا دنياه واتاسيها قول شاعره الاثير « ابي الطيب » : « كذا انا يا دنيا ! » . وايانا منه بهذا القول الجميل الرائع اطلق على يومياته « كذا انا يا دنيا ! » .

في ١٩٧٨/١/٢٣ ولد « خليل » في بيت المقدس ، وسمي « خليلا » على اسم اخيه البكر المتوفى طفلا ، وفي يوميات ١٩١٩/١/٢٣ رسم بعض ملامح طفولته بقوله : « اقدم ما اذكر من ايام طفولتي اننا كنا نعيش في دارنا داخل المدينة ، وكان شمعري احمر بلون

وفوق هذه الهويات كان السكاكني موسيقيا بارعا بالعزف على الكنتجة ! وبعد ان تعلم خليل في المدرسة الانكليزية المعروفة بـ (C. M. S.) التحق بمدرسة سهيون الانكليزية ببيت المقدس ، وكان شقيقه يعقوب قد سبسته اليها ، وبعد ان انهاها التحق بـ « كلية الشباب » (الكلية الانكليزية فيما بعد) وكان استاذة واباه فيها المعلم نخله زريق . وحسوالي عام ١٨٩٣ انهاها وزاول التعليم في مسقط رأسه وانتسب لـ « جمعية زهرة الاداب (٥) » واخذ بعض المال للسفر الى روسيا بتشجيع من صديقه الدكتور بنذلي الجوزي ليدرس الطب هناك ، وبعد ان حجز مكانا في الباخرة وحدد له موعد سفرها عدل عن رحلته لمرض والده فالفى سفره الى روسيا . وبعد ان لحق ابوه بربه قصد « خليل » بريطانيا ليستكمل من فن التربية والتعليم ، ومنها شخص الى الولايات المتحدة سنة ١٩٠٧ واتصل في نيويورك ليستزيد من الدرس ويعمل مع شقيقه يوسف الذي سبقه الى فيلادلفيا ، لكن سوء الحالة الاقتصادية حالت دون نجاحه ، فزاول تعليم بعض الطلاب ، لكن الاجور التي كان يتقاضاها لم تكف لسد نفقاته ، فعمل في محل تجاري لكن عدم المأه بسك الفسائر كان سببا في هجره عمله الجديد ، وحرر في مجلة (الجامعة) لصاحبها فرح انطون ، لكن الكتابة فيها لم تكسبه نفقات عيشه ، وبوساطة صديقه فرح انطون وجد عملا في أحد المعامل لكنه هجر العمل للفرار بين خلقه واخلاص العمل .

واخيرا قرر السكاكني العودة الى فلسطين لان (٦) الانسان في الولايات المتحدة ، وغيرها لا ينجح الا اذا اعتد على الغش والخداع والكذب الى غير ذلك من الصفات التي تابهاها نفسه ولو مت جوعا ! . وفي صيف سنة ١٩٠٨ قرأ ان السلطان العثماني عبدالحديد منح البلاد الدستور ، فسرعان ما وبعد الامال عليه ، فقرر العودة بالباخرة عبر فرنسا ببلغ القدس سالما وحصيلته ما جناه من هجرته كما يقول « ان سفري الى بلاد الانكليز ، ثم سفري الى اميركا وتشريبي بمذا نيتشه الفيلسوف الالماني وغيره من الفلاسفة ، والصمويت التي لقيتها ، كل ذلك احدث في اتقلايا لم اعده قبل سنة » .

واول عمل زاوله في بيت المقدس تنقيح مسودات مجلة « الاصمعي » لصاحبها المرحوم حنا العيسى ومسودات جريدة « القدس » لصاحبها المرحوم جورج حبيب ، وتلفت الى الطائفة العربية الارثوذكسية في فلسطين والاردن فالفها ذليلة مغلوقة على ابرها ، من رجال الكيروس اليوناني ، تحاول اصلاح الحال مع وجوه هذه الطائفة ، لكن جهوده باءت بالفشل ، لان

من بنسائين ونجارين وغيرهم . وكنت في يوم السبت حين يذهب المشتغلون ليقبضوا اجرهم من رئيس العمل اتنخل من الذهب معهم لاني كنت اخجل ان اتف موقفهم وادم يدي لاناول اجرتي ، كنت اتلذذ بالعمل في ايام العطلة ولا سيما وقد كنت يحبوا اما لاني صغر السن سريع الحركة ، او لانهم كانوا يحسنون معاملتي اكراما لخاطر ابي لانهم كلهم تلاميذه في صناعة التجارة ! .

وكان خليل منذ طفولته مولعا بطائفة من الهويات واسمعه يعبدها :

— وما كنت مولعا به في ايام الصغر تربية الخراف ، ففي كل سنة كان يشتري لي ابي خروفا او جدبا ، فكننت اذهب به بعد المدرسة مع رفاق كثيرين من اترابي ومع كل واحد منها خروف او جدي الى الحقول المجاورة نرعاسها ، فكنا رعاة صغارا . ما اجعل تلك الايام !

— وكذلك كنت مولعا باقتناء الكلاب فلم اكن القى كلبا صغيرا في الطريق الا ركضت وراءه حتى ادركه فاحمله واعتني بتربيته ، واشهر كلابي « فرهود » وكان كبير الجسم جميل الشكل ، فلم اكن اذهب الى محل الا واخذته معي واذا رايت كلابا في الطريق ارسلته عليها فكان يهجم عليها كالأسد ، وقد عاش طويلا ، ولما مات اسمت عليه اسما عظيما . « فرهود » — وكنت مولعا بالماء والظافة فلم يكن اذ عندي وادعى لسروري من ان تدعوني ابي لتخميني . وكنت مولعا بالصلاة والعبادة وقراءة الانجيل ، وقد بقيت كذلك الى ان ادركت سر الرجال . وما اذكره بالفخر والسرور اني كنت من الممتازين بحسن الاخلاق والقوة والخفة والرشاقة ، لا تخرج من فمي كلمة سوء او الفاظ بذينة .

ثم اتفق اننا سكنا في دار خارج السور ، وكان عندنا بنديقة ، فجعلت ارجب ان اتعلم الرسامة وحدي ، وكما كان سروري عظيما حين سجدت بنديقتي على مصفور فاصبته ، ومن ثمة اولعت بالصيد ولما عظيما فكننت لا اصدق ان اتصرف من المدرسة حتى ابادر الى بنديقتي فاحلها واخرج الى الحقول المجاورة للصيد .

— الاستحمام بالماء البارد . « ان لاسلوب (٤) في الحياة باطنيا وظاهرا : ظاهره العصاب واستحمام واكل وقوة ونشاط ولهو وسرور ، واما باطنه فطهارة قلب وصحة وعقل وحرية فكر وسمو نفس ومتانة اخلاق وجبال ذوق وسلامة نية . فاذا اكتفيت بالظاهر فقد اسأت نفسي ، وهذه آمة الاديان والمذاهب كلها » .

خَلِيلُ السَّكَاكِينِ ☆

وفي شتاء سنة ١٩١٤ عين عضواً في قوميون المعارف بلواء القدس ، ومن وظائفه تعيين المعلمين وتلقم وعزلهم وتنزيلهم من درجة الى درجة ، وراح يحاول اصلاح مناهج الدروس وجهاز المعلمين .

ويعد ان اسس القلائد التركي احد جبال (باشا) مدرسة « الصلاحية » في بيت المقدس عهد بادارنها الى المرحوم رستم حيدر ، وعين السكاكيني مدرسة المبريح فيها ، وكان من زملائه الشيخ عبدالعزيز شاويش واسعاف النشاشيبي والشيخ عبدالرحمن سلام .

وفي اعقاب سنة ١٩١٧ قررت الحكومة العثمانية ابعاد السكاكيني من القدس بتهمة ايواء يهودي اسمه « والتر ليفين » وقد استجار به جاره السكاكيني وكان نصيبه السجن العسكري في عمارة الروس بالقدس . وبعد ان كبل الحراس يديه بوثاق شديدة ساقوه حاسر الرأس حافي القدمين الى اريحا فالسلط فمعان حيث اودع سجنها ، وبعد مسيرة اربعة ايام سيرا متواصلا على قدميه ، اركبه الحراس القطار مكبلا بالحديد ، فبلغ درعا ومنها الى دمشق فاودع سجن الجباب الملقق بباب الجابية . وهناك زاره استاذة المعلم نخله زريق ، فلما رآه السكاكيني قال له : « اسبغنا وقتلا واشتبقا وغربة ونأي جيب . . . ؟ » فأكمل المعلم زريق باقي العجز من وراء القضيان الحديدية « ان ذا لعظيم ! » .

وفي السجن انثالت عليه خواطر مغزعة ، فذكر والدته وريسا وام سري وشقيقته ، تذكر احبابه وخلاته والحياة التي كان يعيشها في بيت المقدس ، كل هذه العوامل اعتلجت في صدره فانشأ يقول :

نكراني وان لکن غیر ناسی
بزمان جم الولاء مواسی
نكراني ایام كنت سمیداً
لا اقباسی من الجوى ما اقباسی
نكراني وان تصدع قلبي
وتلظت من حرها اقباسی
وتراني ولا تبالي بدمع
بل نصري واترعت منه كاسی
كيف اتسى وجبهم في فؤادي
اینما كنت ثابت الاساس
لا تراني الا رايتك شجياً
قلق الفكر دائم الوسواس
ان شوقي الى ذوی لشوق
علم الله ما له من قیاس !
ان احاول كتمان شوقي اذا
عنه دموعي على جميع الناس

رشوة المسؤولين الاتراك في استانبول والقدس اعمت البصائر ، وعلت العجب العجاب .

وليؤمن نفقات اسرته اخذ يعلم اللغة العربية في « مستعمرة الامركان » بالقدس ويعطي بعض الاجانب دروساً خاصة بالعربية . وبتكليف من القائمين على « جمعية الاتحاد والترقي » بالقدس انتسب « خليل » لهذه الجمعية ، وهدنه خدمة امته ، واسس « جمعية الاخاء الارثوذكسي » ودعا الى مقاطعة رجال البطريركية لمطعم حقوق اكبر طائفة عربية مسيحية في فلسطين ، فقابل البطريرك ذميانوس اليوناني حالات السكاكيني هذه بنشور اذاعه وحرم فيه « خلايا » من الكنيسة وحذر ابناء الطائفة من مخالطته والاصفاء الى آرائه وامكاره !

وفي سنة ١٩٠٩ قرر تأسيس مدرسة وطنية في بيت المقدس ، تكون مصنعا للرجال وقد ساهما « المدرسة المستورية » واشترك معه في تأسيسها : علي جارالله وجبيل الخالدي واقيم مشبك ، وكان من مزايها انها جمعت بين الطلاب على اختلاف المذاهب والتحل على مقاعد واحدة بدون تفرق لذهابهم الدينية . والباعت على تأسيسها « اكبر (٧) مدارس هذه الامة اجنبية دينية ، ومدارس الحكومة

بقلم: البدوي المصلح

الى اليوم لاتزال عرضة لسوء الاستعمال ، ولكن لا بد ان يظهر مع الايام في عداد المعلمين معلومون وطنيون يعالجون هذه العاطلة الوطنية ولو كانوا في مدارس اجنبية او مدارس الحكومة . واكبر عامل في ايقاظ الشعور الوطني هو ادبيات اللغة ، والمعلم الوطني لا يعدم في ادبيات اللغة العربية ما يثير الحماسة في نفوس التلاميذ ويبعث فيهم الحياة . ان امة عندها امثال المتنبي وابي فراس وابي تمام والبحراني وابي العلاء وعنتر لا يمكن ان تنوت ! » .

وتقويتها ، ونعني بقوة النفس ان يكون الانسان شجاعا مستقلا ذا حفاظ ومبادئ عالية ومطالب شريفة . النفس التي تجزع عند اقل مصيبة ، وتجنب اسم اقل خطر ، وتضيق تحت اقل شيق ، وتتسائل امام اقل صعوبة ، وتقعن بالدون ، وترضى بالكفاف ، وتتلاشى امام اقل الطوارئ لهي نفس مريضة مهزولة مغلوجة . القوة ! القوة ! هذا هو التعليم الجديد الذي يجب ان ينشر به ! »

وخلال وجوده سجنيا بذل اخوانه ومريده ، وفي طلبعتهم الشيخ عبدالقادر المظفر ، من الجهد لفك اساره وخروجه من سجنه ما حقق الغاية المنشودة . وفي ١٩١٨/١/١٠ اطلق سراحه بكفالة وبعد فترة اخذ يعلم بعض الطلاب دروسا باللغة الانكليزية ليعيش منها في غربته .

وفي شهر آب من سنة ١٩١٨ عظم امر الثورة العربية فهب السكاكيني وبعض رفقاته من الشبان العرب الى الانضمام الى صفوفها ، فخرجوا من دمشق في العاشر من آب الى جبل العرب ، وفي « القرية » مستقر راس سلطان الاطرش وضع السكاكيني نشيدا وطنيا مملعه :

ايها المولى العظيم

فخر كل العرب

ملك الملك الفخيم

ملك جدد النبي

نخسوا هذا الملك سيروا

قبل فوت الزمن

وعلى الخصم اغيروا

لخلاص الوطن

وراح يدعو الى استقلال وطنه العربي الكبير من كل طابع ودخيل واعتراف بشرقيته : « الاستقلال (٨) الاستقلال ! يجب على كل انسان وعلى كل امة ان يكون له اولها وجود شخصي . احب الامة الانكليزية واعجب باخلافتها ومبادئها وقوتها وعظمتها ، اعجب بشكسبير وداروين وهبريت سينسر وغيرهم من نوابغ الانكاز ، ولكنني لست انكليزيا . احب فرنسا تلك الامة العظيمة الذكية النجيبة ، ولكنني لست فرانسوايا . احب ايطاليا امة الفنون الجميلة والظرف والكياسة ، ولكنني لست ايطاليا . احب اميركا تلك الامة الحرة النشيطة النبيلة ، ولكنني لست اميركا . احب اوروبا واميركا ولكن لاحب ان اتجرد عن شرقيتي . قد اقتبس العلم والادب عن اوروبا واميركا ، وقد اعيش فيهما ، قد اتبذ شيئا كثيرا من اخلاقي وادابي وعوائدي وتقاليدي ، قد اسام معيشتي كشرقي ، قد احزن لحالتي واخجل من عيوبي وايس من تحقيق آمالي ورغائبي ، بل

لست اخلو الا تخيلت اني في بلادتي وانهم جلاسي

ان يحل بيننا الفراق ولم

يسق سبيل انناهم احساسي

لست اخشى الا الفراق والا

فكشيد على الزمان مراسي

كل خطب يهون عندي فاني

ان تجل الخطوب طود راسي

وفي سجن دمشق راح السكاكيني يتأمل في المصير الذي آل اليه امره ، ونومه بين الحشاشين واخذ يفلسف الحياة ، وينادي بفلسفة القوة . اسعده يقول في قرارة سجنه :

« العالم يحتاج الى اصلاح كبير والا فمصيره الى الضعف والاحتطاط والزوال . يجب ان يكون الانسان قويا في جسده وعقله ونفسه . ليس اولئك النوابغ في قوة اجسامهم وعقولهم ونفوسهم من فئات الطبيعة ، بل هم من الطبيعة وحسب اصلها ، وكان ظهورهم من وقت الى آخر وفي مكان دون اخر رجوع الى الاصل وايدان ان يكون البشر كلهم مثلهم . ولا حد لقوة الانسان ولا يجوز ان نقول اننا من لحم ودم فان اجسامنا في اصلها اشد من الفولاذ ولكننا اهيلناها واسانا استعمالها فاصبحت لحما ودميا .

كانت حواسنا اقوى واصح مما هي عليه الان . كانت جلودنا وعظامنا واعضاءنا وعظامنا وعضاؤنا الداخلية والخارجية اصنع واقتلوا منها اليوم بما لا يقاس ، فاذا قلنا يجب ان يكون الانسان قويا فانا نعني تلك القوة الاصلية التي خلقتنا عليها . بل ان تلك القوة قابلة للزيادة كما انها قابلة للتقصان فلذلك لا حد لقوة الانسان . واحق الناس بالحياة هم الذين يزيدون هذه القوة لا يتقصونها ، يقولون الجسم كله لا يتقون فعوا على حساب غيره . ان الاجسام التي يتولاها الكلال تضعف لاقبل حركة وتضعف لاقبل مؤثر ، وتختل لاقبل سبب . ان هي الا اجسام موتى لا اجسام احياء . ان الجسم الذي يصيبه اقل برد او يتمرض لاقبل حر فتتزل به الاراض لجسم مركب من جلود بالية .

« وكذلك عقل الانسان يجب ان يكون قويا جدا لا تجوز عليه الاوهام ولا تستعصي عليه المشكلات ولا تروج عنده الغرافات والترهات . ان تلك العقول التي اثارته العالم ورفعت الانسانية ليست عقول آلهة بل هي عقول بشر فيجب ان نفقش عن الوسائل التي تجعل عقول الناس جديما من جنس تلك العقول . اذا اهل الانسان عقله فلا نرق بينه وبين البهائم . « وما النفس فيجب ان ييسالغ في تهذيبها

خليل السكاكيني

✱

وعرض عليه المسؤولون في الحكومة العربية أن يكون مفتشاً عاماً للمعارف في سوريا ، فقبل العرض لولا أن الإجراءات الروتينية استغرقت وقتاً . وبعد عودته إلى القدس كلفه مدير المعارف الماجور تدمن أن يكون موقفاً مديراً لدار المعلمين بالقدس ريثما يتم تعيينه مفتشاً عاماً للمعارف في فلسطين ، وفي ٢٨/١٠/١٩١٩ افتتح « دار المعلمين » وأنبرى ، منذ تولى ادارتها ، إلى بث روحه في الطلبة ، فأطلق حرياتهم ، واستنفض هيبهم وعودهم أن يحكموا انفسهم بأنفسهم ، وأنشأ لهم جمعية للمحاضرات واللقاءات الصائتة ومجلة سهاها « الجوزاء » كان الفلايذ يتولون تحريرها بأنفسهم ، كما أنشأ لهم مكتبة قديمة .

وفي الوقت الذي قدم فيه هربرت صموئيل ، اليهودي النزعة والمذهب والعرق ، إلى فلسطين ، كأول مندوب سام ، قدم السكاكيني استقالته كجدير لدار المعلمين ، وهنا استدعاه الحاكم العسكري البريطاني وإبان له خطاء وطلب اليه البقاء في عمله لكن السكاكيني أصر على استقالته من عمله الرسمي . وفي صيف ١٩٢٠ دعت « الجمعية السورية الأرثوذكسية » في القاهرة ليكون مديراً للتقسيم العربي لمدرسة « البيطية » فقبل الدعوة وأقبل على عمله الجديد بهمة الموهوبة ، وكانت له في القاهرة حلقات أدبية قوامها الشيخ مصطفى عبدالرزاق والدكتور منصور نهيى وتلميذ سركيس واحد زكي (بائسا) وجورج حبيقة والدكتور أحمد ضيف والعقاد والدكتور طه حسين وغيرهم . وبعد انتهاء السنة الدراسية ١٩٢٢ رجع السكاكيني وسري وام سري إلى القدس ، وقرر (خليل) أن لايعود إلى القاهرة لأن جوها لإلثام وحيدة « سريا » .

وفي القدس زاول الصحافة ونشر مقالات في « المقتطف » و « الهلال » و « السياسة الاسيوعية » وجرى بينه وبين أمير البيان الأمير شكيب أرسلان حوار ممتع كانت صحيفة « السياسة الاسبوعية » مسرحاً له . واستأنف نشاطه في الحركة الوطنية فقام بأعباء أمين سر اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي الفلسطيني . وكان يتردد على قهوة بلدية في باب الخليل بالقدس سهاها « قهوة الصعايك » كما سمي بيته « الكوخ » وفي القهى والبيت كان يجتمع بعدد من رجال الأدب والسياسة العرب النقيين من بلدانهم اثر انهيار الحكومة العربية التي أنشأها الملك فيصل بن الحسين في سوريا .

وردا على تهادي اليهود في غطرستهم والانكيز يشدون ازهم نظم السكاكيني الشيد التالي :

قد اود لو اتبرا من شرقتي ، ولكن لا استطيع الا ان اكون شرقيا . لا احب ان افني نفسي في غيري ، لا احب الالتصاق بأحد . احب ان يكون لي شخصية ، احب ان يكون لي وجود ذاتي ، احب اذا سمعت ان اسعد بنفسي ، واذا شقيت ان اشقى بنفسي ، احب ان احكم نفسي بنفسي والسلام » .

ومن جبل العرب قصد السكاكيني الصحراء على ظهر جبل إلى مقر الأمير فيصل بن الحسين في «إبي اللسن » ثم شخص إلى مصر عن طريق (العقبة) لكن الانكيز منعه من دخول مصر وأخيرا أذنوا له بدخولها فأتهم فيها وتعرف على صفوة رجائها وأديانها ، وتحسس مشاعر الامة التي تحدر منها :

« اتا لست من رجال السياسة ولكنني عربي قبل كل شيء ويهمني بل من واجباتي ان اسمي في النهاض هذه الامة المتعسة واقتلها من عثرتها . كنت قبل اليوم احسب وطني القدس ، وأما اليوم وقد خرجت من سوريا إلى البادية إلى مصر إلى فلسطين فوطني العربي يشعل كل البلاد التي يتكلم ابنائها بالعربية . وما اسهل ان توحد كلمتنا ، وما اسهل ان نحيا كلمة واحدة ، لنا مكان ولنا لغة ولنا ادبيات ، وما اصغر همة الذين لا يهتنون الا بوسطهم الصغير . لكن الحكومات ما شامت فنحن لا يهمننا الا ان نكون امة واحدة وننربى على ادبيات واحدة ومبادئ واحدة وان يكون لنا آمال واحدة ، وهذا ليس على همة ذوي الوطنية بعزير ! »

وفي اوائل سنة ١٩١٩ بلغ القدس وشرع في اعطاء دروس خصوصية ، وبعد فترة طلب مدير المعارف الانكليزي الماجور تدمن مقابلته وعرض عليه تعليم ثلاثة صفوف من الضباط البريطانيين اللغة العربية فقبل العرض وشرع في اداء مهمته .

ونظرا للبليلة التي سادت فلسطين ومستقبلها السياسي دعا السكاكيني إلى دعم عقيدة الجامعة العربية واعتبار ان فلسطين ليست للفلسطينيين بل هي الجامعة العربية . وفي الربيع الاول من سنة ١٩١٩ تم تعيينه في هيئة المعارف وتعيين قرينته ام سري في هيئة المعارف لمدارس البنات .

وفي صيف ١٩١٩ بارح السكاكيني القدس إلى دمشق والقي فيها محاضرتين ، موضوع الاولى « ماذا كنا وماذا صرنا ؟ » وموضوع الثانية « الختبي »

ان ظلمنا تجد آنا

قد غدونا مجانينا

وفي ربيع عام ١٩٢٥ اقلع السكاكيني عن اكل اللحوم ، رحمة بالحيوان والطير ، واصبح نباتيا ، وبقي نباتيا الى اخر حياته ، كما امتنع في تشببهه عن الصيد للسبب ذاته .

وفي صيف ١٩٢٦ غادر هيربرت صموئيل فلسطين نهائيا فالتحق السكاكيني مرة ثانية بادارة المعارف كفتش عام للغة العربية ، وتم تعيينه عضوا في المجمع العلمي العربي بدمشق .

وبعد ان التحق « سري » باحدى الجامعات في الولايات المتحدة جازبه والده حب الرسائل (من ١٩٣١) وكانه بهذه الرسائل يخاطب نفسه . . ويكشف الناس والدنيا بأرائه الصريحة ، اسعجه يقول لـ « سري » في احدى رسائله :

« لا اتايل هذه الدنيا يا سري الا حدثتني النفس ان ابصق عليها وارحل عنها ، الا قلت مع ابي العلاء المري :

فيا موت زر ان الحياة ذبيمة

ويا نفس جدي ان دهرك هازل

لا احاط الناس ولا اتعرف دخائل نفوسهم الا اشمازلت بل كنت انتقيا وقلت مع المنهبي :

وما انا منهم بالعيش فيهم

ولكن معدن الذهب الرغام

بل قلت مع السيد المسيح « ملكتي ليست من هذا العالم ! »

وبالرغم من التفاؤل الذي تميز به السكاكيني فقد ساد التشاؤم حياته :

« لا اقول هذا لاني جاوزت الخمسين ، ولا اقلوه وانا اعني الا فلسطين ، فما عهدت الدنيا منذ عرفتھا الا على هذه الحالة ، هي هي بالامس واليوم وغدا ، وهي هي في فلسطين واوريا وامريكا ، والعياذ بالله . ولولا عدد قليل من اهل الفضل ، ولولا الامل فيك وفي امثالك من الناشئة الجديدة لانسحبت من الدنيا بناتا لا علي ولا لي ! » .

وبعكف السكاكيني على المطالعة ، ويقتل على سير الرجال العظام امثال سقراط وافلاطون وارسطو وباتن وديكارت وسبينوزا وغيرهم . واهم شخصية سلط عليها اشواؤه هي شخصية ديكارت (٩) لانها تلائم شخصيته « فلو لم يكن ديكارت (١٠) لحاولت ان اكونه . . اعوذ بالله من الغرور ! اذا كان هناك اشخاص خالودون فلا بد ان يكون ديكارت واحدا منهم ، فهو الذي علم الناس كيف يبحثون ! » .

١ - نحن قوم ابيونا

لا نقر الاذي فينا

لا نبالي منايانا

في سبيل امانينا

٢ - يا بلادا ورثناھا

عن جودود ميادينھا

ان يهاجمك زرزور

يلق منا شواھينا

٣ - يا بلادا هوينھا

واتخذنا الهوى دينھا

ستظلمن في عز

وامان بايدينا

٤ - لا يغر العدى منا

مذ تمادوا تاتينا

ليس عجزا تاتينا

انما كان تهوينا

٥ - نازم الحلم ما دمنھا

لا نرى الحلم توهينا



معركة بلازاتية ..

ديوان شعر جديد للشاعر البحراني : غازي عبد الرحمن القصيبي ، صدر اخيرا في طباعة انيقة جميلة ، وللشاعر ديوانا شعر هما :

— اشعار من جزائر اللؤلؤ ..

— قطرات من ظما ..

وكتاب :

— في فكري نبيل ..

أقوال

لحنلة



شعر
فيصل
السعد



وفي صيف ١٩٣٢ دعته الجامعة الأميركية في بيروت لالتقاء محاضرات في أصول التعليم في لبنان فأجاد وأجاد، كما لبى دعوة من الجامعة ذاتها والتي محاضرات في اللغة العربية في الصفوف الصيفية التي عقدت في سوق الغرب وحضرها عدد غير قليل من المربين العرب والأميركيين .

وبتكليف من شبان عرب قابوا بتأسيس نساد عربي في بيت المقدس وضع السكاكيني نشيداً لذلك النساد ، فأنشأ على هبهم ، وعارض قصيدة للشاعر الإنكليزي « كيلنج » عنوانها (IF) — اذا — وجعل عنوان النشيد الذي نظمه « ان » واليكه :

- ١ — ان يخفض الناس الرؤوس
أو يرخس الناس النفوس
- ٢ — ان تنزلزل القسدم
أو تتضائل الهمم
- ٣ — ان يحسب الناس الحياه
فكل من مآ تراه
- ٤ — اذا دعانا الواجب
لا قاعد لا غائب
- ٥ — ان يطلب الناس الزهيد
سبت بنأ الى البعيد
- ٦ — لا نعتدي على احد
ليس لتنا من معتد
- ٧ — ان يجحد اليأس الى
مهما جنى الدهر فلا



- (١) سري : وحيد السكاكيني .
- (٢) سلطانة : قرينة السكاكيني .
- (٣) كان والده يشتغل بالتجارة وتجارة الخشب ويجدد مع لفنه العربية التركية واليونانية والروسية .
- (٤) (كذا أنا يا دنيا) ص ١٥٠ .
- (٥) استست هذه الجمعية سنة ١٨٩٨ وكان رئيسها داود الصيداوي واعضاؤها : عيسى العيسى ، فرج فرج الله ، انتم شريك ، شبلي الجبل ، جيل الخالدي ، نخله نرزي ، خليل السكاكيني .
- (٦) (كذا أنا يا دنيا) ص ٢٦ .
- (٧) (كذا أنا يا دنيا) ص ٦٦ .
- (٨) (كذا أنا يا دنيا) ص ١٥٥ و ١٥٦ .
- (٩) ديكرات (١٥٩٦ — ١٦٥٠) فيلسوف فرنسي وعالم ورياضي .
- (١٠) (كذا أنا يا دنيا) ص ٢١٨ .

١ - صوت الحلم :

كوني لثامي لثميني
ليل وحزني والعذاب على جفوني
وردائي الملقوب ببرء ..
ثم أبرد والصحاري

٣ - صوتها

كل البحار تصب فيه فأين تهرب يا حبيبي
من أينما بحر تجيء لا أينما نهر تروح
أو لست من ترك الصحاري
رغم قسوتها تنوح
أو لست من ركب المهارى
وهي غاضبة جموح
فلا أينما نهر تروح ؟!

وحروفه في دمك الفوار ذابت
هل نسيت حروفه
من كل عرق فيك ينبع صوته المبحوح
بل حتى صداه

فعلام تهذب من غناه .

٤ - قرار :

سأسير فوق الشوك
فوق الخوف
فوق النار أصرخ يا إله
وأمرغ العينين فوق ترابه وتقبل الشفتان فاه
سأظل أصرخ يا إله
يا صوت خيلي ها أنا
وحدي على البارود أمشي حاملاً روحي
واصراري هليبه
لك للقداء لكل من عزقت يده
على زناد البندقية

الكويت - فيصل السعد

٢ - صوت اسود :

يا حزن عالمنا الملعوب لو تنام الليل عندي
فوق الوسادة .. بين أضلاعي ..
على ثغري وخدي
عطشان يا حزن الجياع ،
كل السفائن أباحت
إلا سفيني المشمة الصواري
- والشرع ؟
ما ظل خيط فيه خذي .. لأن داري
شبح يسجيه الرماد
رماد ناري
وأني بدر فوق رابية انتظاري قد تعذب

مؤلفات

جرجي زيدان

بين الانتقاد والرواج



أخطائه ليستوجبوا بذلك شكره وثناؤه (لأنني استحي من الحق إذا عرفته أن لا أرجع إليه .. (٣) .

وكان زيدان حين يرى النقد سلبيًا وبريئًا وبعميدًا عن الهوى والغرض ، ويصح عنه فانه يأخذ به ويفسر ويصحح ويعدل في الطبيعة الجديدة من الكتاب المنقود ، أو يشير إلى التصحيح فيها يلي من أجزاء الكتاب ان كان ذا أجزاء . وأما ما لا يصح عنده من النقد فانه يغفله ولا يشير إليه (٤) .

وما اتسع صدر كتاب أو مؤلف عندها — فيها نعلم — كما اتسع صدر جرجي زيدان ، وكان الحاحه الدائم على قرائه بان يبعثوا إليه بملاحظاتهم واستدراكاتهم هو الدليل على ثقته بنفسه من ناحية ، وثقته بالقرءاء من ناحية أخرى . فهو لا يعد نفسه الحكم الفيصل في الموضوع الذي يعالجه ، ولكنه يعد القارئ شريكه ، ويحتسب طرأ آخر في القضية ، فلا يميل وزنه أو لا يغفل اعتباره . وكثيرا ما كان يحس — بغير العالم — ان شيئًا أو أشياء قد تكون غائبة في الكتاب ، فيجتنب على القارئ لو بحث

نفسه عناء الرد عليهم ، والناشئة معهم ، بل جعل المأثرة على العمل ، والمداومة على إصدار المؤلفات في خدمة تاريخ الإسلام والحضارة العربية والأدب العربي هي جوابه العلني وردة القاطع على الانتقادات . وكان زيدان — شأن العالم الحقيقي — يرى ان انتقاد الكتب أكثر مائدة وأعظم جدوى من تقييدها ، وان الانتقاد لا يحط من قدرها أو يذهب بفضل أصحابها (١) . وكثيرا ما نراه يشهد بفضل ناقديه عليهم وجليلهم إليه ، كموقفه من نقد الأب لويس شيخو اليسوعي لكتابه « تاريخ أديب اللغة العربية » الذي نشره الأب في مجلة « الشرق » في الجزء الثامن من السنة الرابعة عشرة ، فقد وصف نقد الأب شيخو بأنه (ثم عن أدبه وفضله أو دل على تمكنه من الموضوع) وكثيرا ما كان جرجي زيدان يرجو من يقع في أحد كتبه على خطأ ان ينبهه إليه ليستدركه في الأجزاء التالية ، فان العصمة لله وحده (٢) . وبدلنا هذا على جانب من جوانب الخلق الكريم عند زيدان ، فطلما ألح على قرائه الكثيرين ان ينبهوه إلى

لقد تعرضت مؤلفات جرجي زيدان لحملات من النقد لم تشهد لها ضربا فيها صدر من كتب المؤلفين في أخريات القرن الماضي والرابع الأول من القرن العشرين . وقد أحس الرجل نفسه كثرة استهدافه واستهداف مؤلفاته للنقد ، وكان الناقدين كانوا واقفين له بالرصد ، فكتب مقدمة الجزء الثالث من كتابه المشهور « تاريخ أديب اللغة العربية » يقول : « لا نظن كتابا من كتب العصر لاهي ما لا يقبانه من الانتقاد في أثناء اشتغالنا بهذه الصناعة منذ بضع وعشرين سنة » . وكان زيدان في أول الأمر يعني بالانتقادات ويرد عليها ، ويبين موضع التحامل فيها ، كما فعل في رده على كتاب « نبش الهذيان ، من تاريخ جرجي زيدان » الذي ألفه الشيخ أمين بن حسن المكني وكما صنع في رده في جريدة « المؤيد » التي كان يصدرها الشيخ علي يوسف على الانتقادات التي وجهت إلى الجزء الأول من كتابه « تاريخ التمدن الإسلامي » .

ومضى جرجي ، زيدان في تأليفه ، ولم يبال بالناقدين بعد ذلك ولم يكلف

اليه بما يوفي الموضوع ويسد النقص، ولا ينقصنا المثال على ذلك، فانه حين فرغ من تأليف كتابه « تراجم مشاهير الشرق » احس بان هناك تراجم قد تكون فائتة، لقلّة المصادر المؤيدة الى ذلك، ولقرب عهدنا من الحضارة الجديدة في عصره (فلا يخلو ان يكون قد فائتنا ذكر بعض المشاهير من رجالنا فنرجو من اهل الاطلاع ان ينبهونا الى ذلك ويبيعوا لنا بما يعلونه من تراجم اولئك الرجال، لندرجها في ملحق نجعله جزءا لهذا الكتاب ان شاء الله) (٥) .

وكان جرجي زيدان يجمع هذه الانتقادات والملاحظات التي تنشر في الجلات والمصحف، او تطبع في كتب على حدة، او ترسل اليه على هيئة رسائل خاصة، ويعمها وعي العالم الخلق، فاذا ما استقر عنده صحتها وسلامة وجهة النظر فيها نشرها في اخر اجزاء الكتاب ان كان مجزءا، او في الطبعة الجديدة منه ان كان ذا جزء واحد . وقد نشر في ذيل الجزء الرابع من « تاريخ اداب اللغة العربية » كثيرا من الاستدراكات والاصلاحات على ضوء الانتقادات التي نشرت حول الاجزاء الثلاثة السابقة من هذا الكتاب . وسجل من المستدرک اسماء طائفة من اصحابه تلك الانتقادات وهم الاب لويس شيخو اليسوعي في مجلة « الشرق » والاب انستاس ماري الكرملی في مجلة « لغة العرب » والشيخ احمد الاسكندري في مجلة « المنار » التي كان يصدرها السيد رشيد رضا، وال كاشف الغطاء في مجلة « العرفان » بصيدا، وعيسى اسكندر المعلوف في « المنار » والعلامة المرحوم احمد تيمور باشا في رسالته الخاصة اليه / والمستشرق جولد شمير والاستاذ عبدالفتاح عبادة من كتاب مجلة الهلال، ورشاء الدين بن فخر الدين في الروسية، في كتبهم ورسائلهم اليه .

وحين اصدر جرجي زيدان

الجزء الثاني من كتابه « تاريخ اداب اللغة العربية » لم يشأ ان يسكت على مسألة الناقدين للجزء الاول من هذا الكتاب، او يغض الطرف عن ملاحظاتهم ومواقفهم فيعد ان شكر المقرئين والناظرين الى الكتاب بعين الرضا، بدأ بين اهتمام المنتقدين بانتقاد الكتاب (بلهجة تتفاوت شدة واسلوبا تتفاوت فهمهم من المراد بالانتقاد وشروطه)، كما بين بعد ذلك حرج مركز الكتاب الشرقي بين قرائه (فليس في الدنيا جهور استحكم فيه اختلاف المشارب والاهواء والاغراض مثل قراء العربية . فهم مختلفون موطنًا ومشربا ومذهبا وتربية، فلا يتأتى لكتاب ارضائهم جميعا، ولو اوتى علم الاولين والاخرين ..) ورد زيدان على من يقول في نقده بانه قل الامثلة والنماذج الشعرية والنثرية بان ذلك كان منه عن قصد وارادة . فلو اكثر من الامثلة لخرج من الغرض



محمد عبد الرحمن النجدي

المقصود من الكتاب . واحال جرجي زيدان من يطلب الاكثر من النماذج على المراجع القديمة الاصلية ذاتها . او على كتب في الادب العربي معاصرة له، منها كتاب محمد عاطف بك زمريليه من رتال دار العلوم، وكتاب الشيخ محمد حسن نائيل المرصفي الاديب الصحافي الذي اشتهر بعد ذلك بجلته « الجديد » .

وحين اصدر جرجي زيدان ثالث الاجزاء من « تاريخ اداب اللغة

العربية » كتب مقدمة غير قصيرة في موضوع النقد والناقدين، ورد على الاب لويس شيخو اليسوعي والشيخ احمد عارف الزين صاحب مجلة « العرفان »، والاب انستاس ماري الكرملی صاحب مجلة « لغة العرب » والشيخ احمد الاسكندري، استاذ الادب العربي بدار العلوم . وقد اطل زيدان في رده على الشيخ احمد الاسكندري، ويظهر انه كان شديد التأثر من لهجة في النقد وطريقته في تناول الانتقاد . فقد لاحظ على شيخنا المرحوم احمد الاسكندري ان لهجة في النقد هي لهجة استاذ يلقي درسا على تلميذه، وتبنى عليه لو اختار في الانتقاد لهجة اخرى ! وخاصة ان الشيخ الاسكندري قد عانى التأليف في موضوع تاريخ الادب العربي كتابه المشهور الذي يحصل اسم « الوسيط » .

وقد تعزى جرجي زيدان فيسا وجه اليه من انتقادات كتبه بها لاحظه وقرره من ان المرء لا يتكاد يجد كتابا واحدا لم يتناولوه الادباء بالنقد . فكتاب « العين » للخليل بن احمد واضع علم العروض، و« الكتاب » في النحو ليسيبويه، وشعر ابي الطيب المتنبی، وشعر ابي تمام وغيرهما من كبار الشعراء لم تسلم من نائد او عائب، بل لم يسلم من النقد العنيف والتقريع واحد من كبار اللغويين والمؤرخين من امثال ابن الاثير صاحب « المثل السائر » وابن خلكان صاحب « وفيات الاعيان »، والفيروز ابادی صاحب « القاموس المحيط » وابن خلدون صاحب التاريخ المشهور ومقدمته الواعية، والمقريزي صاحب الخطط والسلوك وغيرهم . وكانت الانتقادات الموجهة الى جرجي زيدان ومؤلفاته — وخاصة في الاداب العربية والتجديد الاسلامي — تختلف شدة وضعفا، ولينا وعفا، وبرائة وغرضا، ويشعر المرحوم الاستاذ احمد امين الى اختلاف نقاد

زيدان بقوله : (وكان نقاده مختلفي الأوصاف .. فمنهم هادي زرين في نقده ، كتقد المرحوم رفيق بك العظم ، والاب لويس شيخو . ونقد لاذع شديد كتقد المرحوم الشيخ احمد الاسكندري في مجلة « المنار » ونقد غير نزيه ..)

وهذا الكلام من المرحوم احمد امين يحتاج الى تبين اكثر وإلى تكميل بما يوفي الغرض في موضوع انتقادات كتب جرجي زيدان . فان بعض النقاد كانت موضوعية ، كانت انتقادات الشيخ احمد الاسكندري ، والاب انتاس ماري الكريلي ، والدكتور يعقوب صروف الذي كان ينقد مؤلفات زيدان في مجلة « المقتطف » نقدا هادئا لبقا ليس فيه كلمة نابية . او لفظة جارحة وبعض النقاد كان فيه موضوعية ولكنه يخرج عن اطار الهدوء الى اطار الاثارة والانتباهات الجسمة ، كالإتهام بسوء النية في اظهار طالب العرب ، والانتباه باعتقاد جرجي زيدان على روايات واخبار ثبت كذبها ، والانتباه بخديعة زيدان لقراءته بحدح الاسلام . وكونه اقرب الى حرية الفكر ، ثم الدس عليه بعد ذلك بابرار اراء اهل الفرق الضالة ، والمذاهب المعروفة بالاحاد والزندقة ونسبتها الى الاسلام ، وهذه الانتباهات هي مما جرى به قلم الشيخ شبلبي النعماني الهندي ، واسس عليها بالطلع انتاهم جرجي زيدان بالشعوبية ..

وعلى الرغم من شهادة زيدان نفسه لانتقادات الاب لويس شيخو اليسوعي بانها كانت تتم من ادب وفضل وانصاف في الحكم وتمكن في الموضوع ، فان قلم هذا الاب كان يتزلق احيانا الى عبارات والفاسط لا تليق برجل دين ، كالفانط : الاوهام والخيلات ، والتقيح ، والصبيانية ، والخرافية وما اليها .. وهي الفاظ سجلها الاب شيخو في كتابه عن الاداب العربية في الربع الاول من القرن العشرين .

اما انتقادات الشيخ ابراهيم

اليازجي ، وخاصة لاسلوب زيدان والفاظه غير الفصاح ، فقد كانت — على ادبها وهذونها — نموذجاً واضحاً لتشدد اليازجي في نقد اللغة الدائرة يَوْمُذ والتي سماها « لغة الجرائد » واصدر فيها كتاباً قائماً ، كانت — كما يقول المستشرق الروسي الكبير اغناطيوس كراشكوفسكي — انتقادات من تصيد الخطاء (٦) .

ومن اشد الانتقادات التي وجهت الى كتب جرجي زيدان يوم صورها تلك التي وجهها اليه الشيخ امين بن حسن المدني ، في كتابه « نبش الهذيان ، من تاريخ جرجي زيدان » وقد رد عليه جرجي زيدان بكتاب عنوانه : « رد رثان ، على نبش الهذيان » صدر عن مطبعة الانطباع سنة ١٨٩١ ، ولم يتج لنا الاطلاع على نقد الشيخ امين المدني هذا ، ولا كتابه ، ولكن كراشكوفسكي يذكرنا ان هذا النقد كان تاماً في بعضه .

على ان هناك ناقداً لزيدان كان من السابقين الى كتابه « تاريخ ادب اللغة العربية » ، نقداً موضوعياً نزيهاً ، هو المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل ، وكان زيدان قد اهدى اليه نسخة من كتابه ، على غير سابق معرفة بين الرجلين كما يقول الدكتور هيكل نفسه ، فأكبر الرجل هذه اللقطة من جرجي زيدان وتفرغ لقراءة الكتاب بامعان ، وخرج من القراءة بنقد نزيه مؤدب موضوعي ، نشره في « الجريدة » سنة ١٩١٢ .

وقد سبق ان اشرنا هنا الى نقد الدكتور يعقوب صروف رئيس تحرير « المقتطف » وانتسابه بالادب والهذيان ، والالباقية وعدم التوجيه ونجد هنا المجال مواتياً للاستشهاد . ففي عدد سبتمبر من مجلة المقتطف سنة ١٩١٣ دخل صروف ميدان النقد مع الناقد لكتاب تاريخ ادب اللغة العربية ، بكلمة وجيزة ذات دلالة يقول فيها : (ولا شبهة ان كثيراً من

منقولاته واحكامه يفتقر الى التحقيق والتصحيح ، ولكن ذلك يكون بعد الجمع والتبويب ..) وقد تفرق الدكتور يعقوب صروف — في هذه العبارة الناعمة — بصديقه جرجي زيدان ، في خلال معركة منغية ، سلت عليه فيها سيوف من كل جانب ..

ولا تزال معركة النقد للمؤلفات جرجي زيدان قائمة لم يفصل موت الرجل فيها . وستظل المعركة قائمة ، ودام الكتاب يبيق حيا بعد صاحبه . ولكنها اليوم معركة من جانب واحد هو جانب النقد ، اما المتقود فقد تخلى عن ارض المعارك كلها الى لقاء الله منذ توفي سنة ١٩١٤ . ومن احدث الانتقادات الموضوعية لكتاب « تاريخ ادب اللغة العربية » ما كتبه الدكتور انطون كرم في الفصل الخاص بالشعر العباسي حتى اخر عصر الغني . من كتاب « الادب العربي في اثار الدارسين » . فمع تقدير الناقد للظروف والزمان الذي الف فيه كتاب زيدان ، فانه يرى ان به ائتين كبيرتين : الاولى ترجع الى « ذهنية المؤرخ لدى جرجي زيدان » فقد غلبت على ذهنية الدارس الناقد ، فطغى التاريخ على الادب . والثانية مردها الى انتباه العام الذي وضعه زيدان ص ١١ — ٤٢ لا يرتبط بالشعر الا من بعيد ، وان المقدمات الخاصة التي جعلها لكل مائة من المئات العباسية الثلاث ، قد لا تخلو من الخطأ ، فلطم ما فيها من التعميم ، او قد يتخذ فيها الدليل والدليلين فيسوقها قاعدة مطلقة (٧) .

وعلى الرغم مما وجهه الى مؤلفات جرجي زيدان من انتقادات كثيرة في معركة طويلة موصولة ، فانها كانت تروج رواجاً عظيماً عند القراء ، وطبعتم مراراً ، وترجمت الى لغات كثيرة اوروبية وشرقية . ويعترف زيدان نفسه بهذا الرواج والتقدير والقبول لكتبه عند القراء فيقول : (ولا تقول ذلك للتفاخر ، فانا من ابعد الناس عن التثوية باعمالنا ،

الموضوع كأنه موضوع اجتماعي يتصل بنوايس الطبيعة في الحكم على الصلح بالبقاء . ولكن مرامي المقال كانت تتجه في وضوح الى آفة «التفرد» في الشرق ، لان اهله — كما يقول زبدان — تعودوا التلق والتلف والمجاملة . واما الانصاف الحقيقي في تقدير الاعمال ، فانه موكول الى الزمان وهو الضامن الوحيد لبيان الحقيقة (٩) ولقد اثبت الزمان — وهو اكبر نصف للظلوليين — بعد اكثر من خمسة وخمسين عاما ان اعمال جرجي زبدان ، الصحيحة باقية بعد زواله وارتحاله الى عالم البقاء ، لانها كانت اعمالا اصيلة ، طيبة ، صحيحة ، والقانون الطبيعى يقول انه (لا يصح غير الصحيح) .

القاهرة — محمد عبدالغني حسن

ر سلاحية ومموجات للزواج ، لا بالموال الاخرى التي قد تؤتى بعض الثمرات العاجلة . ولكنها لا تبقى على المدى الطويل ، كغنى المؤلف الذي هو مطيع للتساقتين ، او مركزه الاجتماعي ، او نفوذه في الدولة ، او تنظيم الدعاية له وحشد المهائسين حوله . وهي عوامل لا تدوم كثيرا ، واذا افادت بعض الحين ، فانها لا تضمن الصحة على العمل او الانتاج في ذاته . وكثيرا ما كان جرجي زبدان يضرب على هذا الوتر حين يتناول موضوعا اجتماعيا في مجلة الهلال التي كانت مجالا لارائه . واكبر الظن انه كان يرد بمثل هذا ردا غير مباشر على هجوم ناقديه وتحركهم من حين الى حين . ففي مقال له بمجلة الهلال عنوانه « لا يصح غير الصحيح » عالج

وانها نقوله — رغم اراءنا — تقريرا للحقيقة (. . ٨) .

وتسد حظيت روايات زبدان التاريخية بروج اخر عظيم لم تصادفه مؤلفات في عصره ، ولا في الجيل الذي بعده . ويشير صاحب «مرآة العصر» الى هذا الزواج الذي لم يسبق له مثل في اللغة العربية (٩) .

ولا يفيد هنا مسألة ترجمة مؤلفات جرجي زبدان الى غير اللسان العربي الذي كتبت به ، ولكننا نؤكد ان بعضها ترجم حتى الى الروسية والبرتغالية والالمانية ، وان معظمها ترجم الى لغات شرقية كثيرة منها لغة «التابلس» في سنغافورة ، والانديجانية ، والهندستانية ، والفارسية . وليس هناك غرابة في ان تترجم كتب جرجي زبدان الى اللغات الاوروبية التي اعتمد هو عليها في تأليفه ، فانه قد افاد من المصادر العربية الكثيرة التي بين يديه فائدة عظيمة ، وجمع منها مادة وتفصيلات حضارية — وخاصة في كتابة تاريخ التمدن الاسلامي — الى حد ان الدارس الاوروبي كثيرا ما يجد في هذا الكتاب بالذات تفاصيل لا يجدها في مكان اخر .

وليس معنى ما سبق ان كتب زبدان كلها كان حظها الزواج المطلق فان بعضها منها لم يلاق النجاح ، مثل « تاريخ الماسونية » و«التاريخ العام» و« تاريخ انكلترا » و«جغرافيا مصر» فهي بين الكتب الراكدة .

وما راينا ننقودا انتفع بنقصد ناقديه وملاحظاتهم مثل جرجي زبدان . لقد كان يرحب بالنقد ويطلبه من القراء — كما اشترنا قبلا — ويعمل به او بما يصح عنده منه في الطبقات التالية ، حتى يجيء انتاجه اوامر مادة ، وابعد من المآخذ والعيوب ، وادنى الى الكمال .

والحق ان كتب زبدان قد نجحت وراجت واقتل الناس عليها بما فيها هي نفسها من صحة



الهوامش :

- (١) تاريخ آداب اللغة العربية — ج ٢ ص ٤
- (٢) المصدر نفسه — ج ١ ص ٨
- (٣) تاريخ مصر الحديث — ص ٧
- (٤) تاريخ التمدن الاسلامي — ج ١ ص ١٧
- (٥) من نقفة جرجي زبدان للطبعة الاولى من « تراجم مشاهير الشرق » ص (٤)
- (٦) دائرة المعارف الاسلامية — مائديزدان ص ٨
- (٧) الادب العربي في آثار الدارسين ، اصدار الجامعة الامريكية في بيروت — ص ١٢٦
- (٨) تاريخ آداب اللغة العربية — ج ٢ ص ٦
- (٩) مجلة الهلال سنة ١٩١٢ ومختارات الهلال ١٩١٦ .

الجيل الثقيل

عَمَدٌ كَثِيرِي الْقَبِيلِ
ثِقَلُهُ شَيْءٌ عَجِيبُ
زَلْزَلُ الْأَرْضِ وَيَسْبِقُ
يَالَهُ جَيْلاً ثَقِيلًا

مُعَمِّدًا عَمِي الثَّقِيلِ
حَمَلُهُ بِالْمُتَحِيلِ ...
أَفْقَالُهُ كَادَتْ تَحْمِلُ
لَيْسِي فِي غَيْرِ جَيْلٍ ...

رياض مخلوف

رأي في
ديوان
الشاعر

خالد سعود الزيد

اهدى الي اخي الاستاذ
الشاعر « خالد سعود
الزيد » ديوانه « صلوات
في مهبط مهجور » ففاض
شعوري بعد قراءته بهذه
القصيدة .

هذا كتابك حلّ أَوْحَبَ منزل
وَعَدًا رَفِيقِي أَوْ رَفِيقَ سَائِدِي
أَعْجَازُ فِكْرٍ فِي بُيُوعِ قَرِيبَةٍ
وَصَفَاءِ نُبُلٍ فِي مَنَاقِبِ مَاجِدِ
عَرَسُ تَدَلٍّ بِالثَّارِ وَلَمْ يَكُنْ
أَبْدًا بَعِيدًا عَنِ تَنَاوُلِ حَاصِدِ
يَا لَلْيَاسِ سَبِيلُ مَنْ أَعْطَاهُ
يَا لَلْقَصَائِدِ شَبَّهَتْ بِقِلَاصِدِ
أَعْجَبَ بِكَتَرِ ذُرِّهِ وَجُمَانِهِ
وَعَقِيقُهُ مَبْذُولَةٌ لِلْوَافِدِ
لَمْ يَدْفَعِ الْعِرْفَانُ عَنْهُ رَاغِبًا
فِي رَفْدِهِ ، أَكْرَمَ بِهِ مَنْ رَافِدِ
لَا زَمْتُهُ حَتَّى خَشِيتُ فِرَاقَهُ
وَالْكَفَّ لَا تَرْضَى بِفِرَاقِهِ سَاعِدِ
مَا أَنْ أَرَى فِيهِ طَرِيفًا رَائِعًا
حَتَّى تُجَادِبَنِي مُحَاسِنُ تَالِدِ

ديوانُ شعريٍّ أَمْ تَضَرُّعُ عَابِدِ
أَمْ جَنَّةُ رَاقَتِ لَعِينِ مُنَاجِدِ !
أَمْ أَيْكَةُ لِلْحُسْنِ عَرْدِ طَرِيفِهَا
بِلِسَانِ فَلَدٍ عَقْرَى خَالِدِ !
خَسَعَتْ مُحَارِبُ الْجَمَالِ لِقَائِمِ
فِيهَا وَأَطْرَبَهَا تَهْجِدُ سَاجِدِ
أَنْتِي نَظَرْتِ وَجَدْتِ سِحْرَ مَلَاعِبِ
وَرَطِيبَ أَفْئَانِ وَطِيبَ مَوَارِدِ
يَا مَنْ يَلُودُ بِكَ الْقَرِيبُ مَوْلا
فَكَأَنَّهُ وَلَدٌ لِأَكْرَمِ وَالسُّدِ
جَازَاكَ بِرَا مِنْهُ صَوْنٌ بِلَاغَةِ
وَتَضِيدُ آيَاتِ وَسَبْكِ قَصَائِدِ
أَنْتَ لَكَ الْكَلِمَاتُ وَهِيَ شَوَارِدِ
لِتَصِيدَ مِنْهَا كُلَّ مَعْنَى شَارِدِ
صَيِّدٌ كَأَنَّ حَيَاتِهِ فِي قُنْصِهِ
يَقْدِيهِ مِنْ عَطَبِ فَوَادٍ الصَّائِدِ



شعر
خالد فوزي عبده

صلوات في معبد مَهْجُور

وَبَدَا أَيْوَ مَاضِي وَرَاءَ حَقِيقَةٍ
يَسْعَى بِهَا كُلُّ كَسْعَةٍ مُجَاهِدٍ
أَضْيَاهُ مَا قَبْدَ غَابَ عَنِ إِدْرَاكِهِ
مِنْ أَنْجَمٍ وَطَلَسِمٍ وَكَرَاقِدٍ
هَلْ أَنْتَ مِنْ بَيْنِ الثَّلَاثَةِ وَاحِدٌ
أَمْ أَنْتَ كُلُّهُمْ مَعًا فِي وَاحِدٍ !

خالد فوزي عبده
الكويت في ١٢/١١/٧٠



مَا زِلْتُ أَغْرَفُ مِنْ بَطُونِ فَصَاحَةٍ
حَتَّى مَلَأْتُ بِهَا صُدُورَ مَوَاتِدِي
يَا مُلْهَمَ الشَّعْرِ الْأَصِيلِ وَمُلْهَمَا
شِعْرَانَا الْإِفْذَادُ دُرٌّ فَرَائِدِ
لَا زِلْتُ نَصْرًا لِلْقَدِيمِ وَلَكَمْ تَزَلْ
لِمَنَاهِجِ التَّجْدِيدِ ابْرَعْ رَأْسِدِ
هَذَا كِتَابُكَ نُجِّلْتُ بَيْنَ سَطُورِهِ
فَرَأَيْتُ فِيهَا عَنْكَ أَصْدَقَ شَاهِدِ
الْأَخْطَلُ الْمِرَاحُ هَذِي رَوْحُهُ
عَادَتْ تُحَدِّثُنَا بِشَوْقِ الْعَائِدِ
تَجَلُّو لَنَا صُورَ الْجَمَالِ وَتَبَارَةُ
تَصْبُو إِلَى خُودٍ وَذَلَّ خَرَائِدِ
وَأَبُو الْعِلَاءِ الْفَيْلَسُوفُ رَأَيْتُهُ
يَرْنُو إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِي زَاهِدِ
يَسْتَمْطِرُ اللَّهُ الرِّشَادَ لِعَالَمِ
دَقْنِ الْهَدَايَةِ فِي الضَّلَالِ السَّائِدِ

النقد الأدبي مشكلة بزانة

بقلم
عباس
خضر

كمالاً لا يوجد فيه ولا في غيره ، تشفياً فيه وانتقاماً منه ،
لأنه هو أيضاً يفعل مثل ذلك في تعامله مع الخلق
الأدبي ، إذ يريد أن يكون كل إنتاج كاملاً متكافئاً ، والأ
أهوى عليه بمصاه التي لا ترحم .. فإذا ما رأينا من
هذا « القاسي » تناعسا أو لمحا به خلا فنعلمنا به مثل ما
يفعل ، كأننا نقول له : فـق ما تطهو أيها الشقي !

نحبل النقد ما لا يطيق ، إذ نطلب منه أن يكون
يقظاً تشفيطاً ، لا يغفل عن عمل أدبي يظهر ، والأ بيبيل
مع الهوى فيجبال أو يتجبال ، وأن يكون صاحبه ذواق
حسيفاً المعيا فغفلنا على درجة عالية من الإطلاع
والثقافة . وكما نطلب العدل من النقد نطلبه له ، وذلك
بأن يتساح له أن يصل إلى الجواهر عن طريق الوسائل
الموصلة إليها كالصحافة والإذاعة والتلفزة والندوات
في الجمعيات والنوادي .

ذلك هو الوصف الإجمالي للنقد الكامل أو المثالي .
ولا يتأتى — بحكم ما قلنا — أن يكون هذا الوصف
نفسه كاملاً غير منقوص ..
ولكن هل يمكن أن يوجد ذلك النقد الكامل في عير
« الجنة » ؟

من خلال تجاربي وممارستي نقد الآخرين وتلقي نقد
الآخرين إياي طوال عمر طويل ما تزال به بقية ..
عرفت عدة حقائق ، **أولها** أن النقد مر المذاق ان
أخلص وصديق ، فالعمل الأدبي — مهما كان — ينطبق
عليه نابوس النقص الذي يشبل كل شيء في هذه
الحياة الدنيا التي هي « دنيا » لنقائصها ، ولكن صاحب
العمل ينظر إليه نظر الأم إلى وليدها ، هو غزال في مهبها
ولو كان قرداً كما يقول المثل الدارج . والنقاد الحر

وصف الرجل الكامل من جميع النواحي أمام امرأة ،
فقال : والله لو علمت أن هذا الوصف في الجنة ما
غفلت عن طاعة الله طرفة عين .

ونحن الرجال كذلك .. مما يحثنا على طاعة الله
أولمنا في دخول الجنة والتمتع فيها بالخور المين المكابلات
الصفات اللائحة لا تفرهين نقائص النساء في حياتنا الدنيا ،
وكذلك التلذذ بشرب خمر الجنة التي لا تعقب صداها
ولا تفضي إلى عريضة وسوء خلق كما تفعل خمر الدنيا .
وؤدى ذلك أننا نتطلع إلى كمال لا يوجد في حياتنا
الواقعة ، وهذا التطلع له صور كثيرة مختلفة نتخيل فيها
الناس والأشياء كما نحب أن توجد على خلاف ما هي في
الواقع . ففي تاريخ العطاء والمباترة — مثلاً — نغني
عليهم من الصفات ما نحبه ونتطلع إليه نحن لا ما كان
فيهم فعلاً ، بل أننا نتخيل شيئاً اسمه العظمة أو
العبقرية ونمنحهم إياه ..

ونحن — مثلاً أيضاً — نحكي نوادر عن عدل
الحكام وعن الوفاء والصدق والأخلاص والمرؤة الخ ..
ما يعز علينا في حياتنا الجارية . ونجلها بما لم
يحدث أن لم يخلقها خيالنا خلفاً .. أرضاء لتطلعننا إلى
ظلال تلجأ إليها أحياناً لتقيتنا من هجير واقتنا ولنغيش
بعض الوقت في أحلام المثل العليا .

ونقص بعد تلك المقدمة إلى موضوعنا ، وهو النقد
الأدبي ، مسكين هذا النقد .. أننا نكلفه ما ليس
في وسعه ، فليس من شأنه إلا أن يكون ناقصاً ، مثله
في ذلك مثل أي أمر من أمور حياتنا المختلفة والكمال
لله وحده .

يظهر أننا نحمل النقد الأدبي ما لا يطيق ونطلب منه

لا يرحم ، بل قد يرى الرحمة في أن يقسو عندما يرى القسوة في صالح من يرحم .. وقل بل ندر من يقبل النقد الكاشف عن الميوب بصدر رحيب .

وثانية الحقائق أن صاحب الانتاج يقول — ولا يغرنك قوله — انه يرحب بالنقد ، وقد يتوانع فيقول انه يطلب الارشاد ويرجو التوجيه . ولكن عندما تنزع الفأس في الراس يحس بالوجع ويصيه الدوار ... قد يقوم فينهال بالسباب على الناقد ، وقد ينهض متزنا مصطنعا ادب الرياضي المنهزم فيصافح كما يصافح .. واليتين انه في الحالين مغيب حائق . انه في اعماق نفسه يعتقد ان عمله كامل رائع وان خدع نفسه في الظاهر بغير ذلك ، فهو عندما يطلب النقد او التوجيه والحق في اعماقه ان النقد او التوجيه سيكون بابرار المحاسن وكشف الروعة ، ولا يخطر له على بال ان في عمله نقصا او يعتربه ضعف .

والثالثة من تلك الحقائق تبدو في هذا التعميل : ان كان الناقد شاكيا ناشئا في الادب فهو اجرا على الهجوم مندفع اليه بعاملين : دفقة الشباب ، والشعور بالحاجة . النفسية الى اثبات الشخصية . والشباب عادة لا تكون صلات الصداقة بينه وبين الابداء قد تكونت وتوطدت بعد ، فعندما يتناول اعمالهم بالنقد لا يصاب ولا يخشى المغبة ، يقول رايه ويصبر عن انطباعه بصراحة وصديق . اما عيبه فهو نقص الثقافة الادبية التي لا يبلغ المرء فيها المستوى المطلوب الا مع تقدم العمر ، بالإضافة الى قصر زمن التجارب في الحياة التي تعد معاناتها والاستفادة منها جزءا من الثقافة . هذا الى العامل النفسي الذي اشرفنا اليه والذي يحل الشباب على الشطط والعنف لتحقيق وجوده في عالم الادب .

وان كان الناقد كهلا او شيخا فقد ازدادت ثقافته الادبية واكسبته معاناة الانتاج وتجارب الحياة حذقا وخبرة ، وقد اطمأن على مكانة بلغها في عالم الادب ، وذهبت ثورة الشباب وانفعائاته . ولكنه في الوقت نفسه تكون صلاته بالابداء قد توطدت وتشعبت ، وجعل يشعر بما جر عليه النقد الصريح الجريء في شبابه من ترسب في سوء العلاقات تصحبه محاولات في النيل منه ادبيا وماديا ، مع ما أصبح عليه من التزامات ومسؤوليات وصار له اولاد جاؤوه بالحنة .. فاذا نقد اضطر الى المجاملة والتزلف على حساب الحقيقة ، وهو في الغالب يهرب من نقد عمل معين الى معالجة القضايا العامة ، وقد يهرب من النقد كله الى اللuan اخرى من الانتاج ، او الى عمل اخر يراه اجدى على عيشه من النقد ، فيخلو منه الميدان ، وترتفع الاصوات : اين فلان ؟

ولا احسبني في حاجة الى بيان ان ذلك كله على

وجه عام ولا يكون في كل الحالات بتحديد قاطع فقد يكون الشاب مثقفا متزنا ، وقد يكون الشيخ جريئا لا يذاري ولا يمالئ . ولكل قاعدة شواذ كما يقولون .

وكثيرا ما يكون متور النقد — الذي يعبر عنه بالازمة — لصيق مجال النشر ، سواء في الصحافة او في دور النشر . فالتقد اما دراسات ادبية مستفيضة مجالها الكتب ، واما مقالات يتناول فيها الاعمال الادبية المتجدد بالتقييم .

فاذا كانت الكتب ضاق بها الناشرون مؤثرين المؤلفات ذات البريق والاغراء او المطابقة لمنهاج الدراسة في المعاهد والكليات فيشتريها الطلاب ، كما يشتري الكتب الاخرى طلاب التولية الذين يأخذون الكتاب — ان اخذوه — كما يقطعون تذكرة السينما .

اما المقالات التي تتناول الانتاج المتجدد ، او التي تسدد نظرات نقدية الى شيء من التراث ، والتي مجالها الصحافة ، فقد اصبحت مشكلة العصر من حيث النشر . ونرى ان مشكلتها هي مشكلة الصحافة الادبية ، فالمجلات الادبية قليلة ، والجيد منها نادر ، وكلها شهيرة او فصيحة ، والرسمية منها — اي التي تصدرها الحكومات — تتحاشى مسؤولية النقد الحر .

وهناك صحف يومية تخصص ملاحق او صفحات اسبوعية للادب تشارك فيها وتصور عليه الفنون الاخرى كالشرح والسيرة والفن التشكيلي . فهذه الصفحات ان نشرت نقدا غسطنائرا (سندويشات) لا تغني من جوع الناقد ، ولكن تصور القبول في عالم الاثارة الصحفية تنبل بالحريقات .. ومن ذلك حلات على ازمة النقد واستنفار للنقاد ..

وانا على يقين ان هذه الصحف التي تصرخ وتولول من اجل المرحوم : « النقد » لو بعث « المرحوم » وجاءها في سورته : مقالا نقديا جادا لاكثره وما نشرته .. قال لي مرة اد المشرخين عليها : اننا لننشر ادبا وانما ننشر عن الادب !

على ان مسألة النشر بالنسبة الى النقد الادبي من الامور العارضة ، اي التي تتغير ويمكن اصلاح ما يفسد منها . وهي تختلف عن المشاكل التابعة من طبيعة النقد الثابتة في ذاته ، ولا حيلة لاحد في تغييرها ، وان كان يمكن تشذيب اشواكها والتخفيف منها بعض الشيء لا كانه .

وليس الامر موثسا على اية حال ، ولا ينبغي ان نقف في وجه النقد الادبي ولو اساء الادب .. بل علينا ان نمنح الصدر لهذا المريد الشقي ، ونيسر له ما نستطيع تيسره ، ونقبله على علانه ، فلن يكون الادب ، الا به ، كما لا تكون الحياة بلا مشاكل ..

القاهرة : عباس خضر

شعرنا في الجزيرة العربية وواقع المأساة العربية في فلسطين

بقلم
عبدالله الماجد

القسم الأول ١٩٤٨ - ١٩٦٧م

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

تاريخ للحدث في تقريرية مباشرة . هنا تفقد هذه الأعمال
عمق التجربة وأصالة الإبداع ، وهذه العوامل مجتمعة
هي روح الشعر وقوامه .

وفي هذه الدراسة ، يعتنا أمر الشاعر الذي كان في
مستوى الأحداث ، فعبّر عنها بشكل جيد رائع ، هذا
الشاعر من صفاته أنه يعانق الأحداث فور وقوعها راسماً
أبعادها ، تسنده في ذلك بصيرة ثاقبة وروية تمتد إلى
الأشياء البعيدة والمتسرة عن العين العادية ، هذا الشاعر
هو الذي يعيش الأحداث فيؤلف بينها وبين تجربته في
انصهار موحد ، تبرز فيه التجربة بالحدث ، فيتولد عن
ذلك تجربة شعورية تنبئ عن صدق معاناته للأحداث
وهذا الشعر هو الذي يؤثر في النفس ويبقى صدها عالماً
بها ، مهمته الأساسية الكشف عن الأشياء التي ضل
الإنسان الطريق إليها ، الشعر يجب أن يكون عيناً مبصرة
يدلنا على تلك الأشياء التي لانراها .

- ١ -

ألّفنا الشاعر في الجزيرة العربية معبراً عن المأساة

تقوم هذه الدراسة للشعر في الجزيرة العربية ، الذي
عبر في صور متعددة عن مأساة فلسطين ، على استنباط
القيم التعبيرية في هذا الشعر ، ومحاولة الإفصاح عما قاله
الشاعر وما يطمح إليه من وراء قوله لشعره .

لذلك فانه لا بد من أن نبحث عن جوهر الأبعاد
التعبيرية التي عبر بها الشاعر ، لئلا نرى ما إذا كانت في
المستوى الذي يجب أن يعبر به الشاعر في مرحلته التي
تجتاز أصناف القول الذي عهدته في مجالات التعبير الأخرى .
وبعدونا هذا إلى التساؤل مرة أخرى : أكان هذا
الشاعر في مستوى الأحداث التي تحدث عنها ؟ وعما إذا
كان قد عانق الأحداث فور وقوعها ، وهل رسم
أبعادها قبل وقوعها ؟ أم أنه كان خلف الأحداث يصحو
على صدها فتنحدث عنها كمناسبة ، فإنه في هذه الحالة
لا يعدو عمله أكثر من استجابة فورية للتعبير عن الأحداث ،
والأعمال الإستجابية - وفي الفن خاصة - لاتصنع
خلوفاً للفنان ، ذلك لأنها في هذه الحالة لاتصبر عن
معاناة صادقة لواقع الحدث ، ولأنها لاتعتمد على كونها

الفلسطينية خلال النكبات التي منيت بها أمتنا العربية ابتداء من عام (١٩١٧ و ١٩٤٨ و ١٩٦٧ م) ، تمييزاً بتطور مع تطور المسألة ، مما يؤكد أن هذا الأدب أدب متطور . ففي ما قبل ١٩٤٨ م ، وجد الشاعر من إغتراض المسألة ، مجالاً لأن يلهب الحماسة في النفوس ، ويستحث الهمم لاسترجاع ما سلب من أمته ، فمضى داعياً لصون الكرامة التي هدرت .

وكان الشاعر في تلك الفترة ، كشاعر القبيلة ، ينافح عنها بشعره معرضاً بعبودها بأسلوب خطابي ، وكل ما قاله الشاعر حين ذاك ، أنه يجب على الأمة العربية أن لاتنفل عن الخطر الذي يدهاها ، وأن تجابه العدوان بكل قواها ، وذلك أقرب الطرق إلى تحقيق غاية الأمة في استرجاع حقوقها المنتصبة .

وكأقرب مثال لذلك ، سرى ما يقوله شاعران عاشا تلك الفترة ، أولهما الشاعر اليمني يحيى بن علي بن أحمد الذاري ، الذي يقول (١) أيها المسلمون مالي أراكم

في غفول عن أعظم الأعطار
انفروا أيها الكرام خفافاً

وقالاً لنصر دين البشاور
يا ملوك الإسلام في كل قطر
وولاة الأبرار والإصهار

هذه صرخة تهم ، وأنتم
من صداها أحق بالإشارة

فالشاعر يقف موقف المنادي والمؤلب لأتمته لإنقاذ الأماكن المقدسة ، وهو باندائه هذا إلى المسلمين إنما يوسع مناطق الرؤية ، ويزيد من حجم المسئوليات وبأسلوب آخر ، يقول شاعر الكويت صقر الشيب (٢)

بني العرب من كل ذي نجدة حر
فلسطين مستها يد العف والجور
أجمع شذاذ اليهود نفوسهم

وما ملكوا من وافر البيض والصفير
لأخذ فلسطين العريضة ضلة
ورمي أهلها بقاصمة الظهر

فهبراً كما تقضي العلا عن حماهم
يلبذون ذود الليث أخراج
فإن تتجدوهم يا بني العرب تنقلوا

نفوسكم لاغيرها من يد الشر
نلاحظ التقاء الشاعرين في الشكل التعبيري ، غير أن

صقر الشيب يختلف كل الاختلاف عن صاحبه ، فرويته تبدو أعمق . لقد قال إن الخطر الداهم الذي أصاب فلسطين ، ما هو إلا مقدمة لما سيصيب الأمة العربية من أطماع واعتداءات يخطط لها الأعداء ، فإن (أنجاد) فلسطين من الصهاينة ، إنما هو (إنقاذ) للأمة العربية (من يد الشر) المتمثل في أعداء الإنسانية . ولكي ندرك قدرة صقر على اختيار صوره التعبيرية ، علينا أن نلاحظ أنه اختار كلمة (تجدوهم) لفلسطين ، بجانب كلمة (تنقلوا) للأمة العربية ، وبذلك مد بصره عبر الواقع ليدلل أن الخطر يهدد الأمة العربية جمعاء ، فيما لو تركت فلسطين التي هي بحاجة إلى إنجاد .

وإذا كان الشاعر في تلك الفترة غير مطالب بأكثر من ذلك ، إذ المسألة لم تتطور إلى الحد الذي وصلت إليه بعد عام ١٩٤٨ م ، من تطور في الشاعر وتبصر لابعادها ، فإن صقر الشيب استطاع ببعد نظره وثاقب بصره أن يتلمس تلك الأبعاد قبل وقوعها والتي تلمسها كواقع في حياة أمتنا اليوم .

أما بالنسبة لشعرنا في الجزيرة العربية ، في تلك الفترة بصفة عامة ، فإنه لم يكن سوى شعر مقلد للشعر في مصر والشام ، فهو لم يفتتح على دعوات التجديد ، إلا في وقت متأخر . فحينما تمضي مع الشاعر في فترة عام ١٩٤٨ م وما قبلها وبعدها بقليل ، فلنأني تماماً مستوى الشاعر ، ذلك المستوى المختلف .

* * *

وفيما بعد ١٩٤٨ م اتجه الشاعر إلى الدعوة للكفاح المسلح ، معتبراً أنه الخطوة الوحيدة للخروج من الأزمة وأن الاحتجاجات والخطب المنبرية ، ما هي إلا نوع من خداع النفس أمام العدو المتربص ، بل أن هناك من الشعراء من اعتبر هذا الأسلوب الخادع مخدراً من إنتاج العدو وتكالب الإستعمار معه ، ولانثك أن هذا الإنجاء من الشاعر في ذلك الوقت ، لإنجاء ينتج عن تطور المسألة في نفوس الشعراء ، وعن تطور المسألة ذاتها فإن الشاعر حين يكون (كالمومر) تقرأ على مسطرته درجات الحرارة ، حين ذاك يكون الشاعر امرأة عصره يعكس الأحداث المحيطة به ، ويتحدث عن خفاياها بكل إيمان وصدق ، ويكون الشعر أقرب إلى النجاح أكثر من أي وقت مضى .

وسنمر بعدة مقطوعات كتبت في تلك الفترة ، كلها تنجته إلى ذات التعبير في مضمون البيت المشهور لأبي تمام

من قصيدته التي هنا بها المتعصم بعد فتح عمورية :
السيف أصدق أنباء من الكتب

في حده الحد بين الجدد واللعب
فهنا يقول الشاعر الكويتي عبدالله زكريا الأنصاري : (٣)
ليس يجدي زخرف من كلم

لا ولا يدرك شيئاً من تمنى
قد سئمت القول من كان وكنا
وملنا النظم ألفاظاً ووزناً

وقوله :
يا بني العرب فالعدو مجدد

ليس تنمو أوطاننا بالنواح
فاطلبوا العز بالجهد لتحيوا
وانشدوا العز فوق هام الأضاحي

وقول الشاعر السعودي إبراهيم هاشم فلاني في نفس المعنى
يا شعب يعرب وبثمة
تنفي بها الصدر الكظيم

فارهف سلاحك واحتشد
للحرب تبلغ ما تروم
ماذا افدنا بالخطابة

والقصائد والنظم
بالسيف لا بالقول
ياخذ حقه البلد المضمين

وقول الشاعر السعودي فؤاد شاكر :
واضيئناه وواهاً أيها العرب
فيم الجمود وهذا الكون يصطخب

ماذا افدتم من الأخلاق وبكم
الخطب حم ، فلا تجدي به الخطب
خلوا الحديث لحد السيف أن له

فصل الخطاب وفيه المنطق السدوب
أو قول شاعر الخليج خالد الفرج في صراحة متناهية :
مهما اجتمعن واحتججن

فالأعادي لا تصف
كم توعدون ووعدكم
دوران أقول ولف

وكم احتجاج منكم
للمهملات حسواه وف
في تلك النماذج التي تختلف فيها جودة بعضها على
البعض الآخر ، مما يدرك بالبداهة نستطيع أن نتحدد
الإتياع الذي نهجه الشاعر في تلك الفترة من تاريخ المأساة ،

فالشاعر كان يقول أن الحل السياسي حل زائف ، إذ هو
نوع أقوال بلا أعمال ، إن الشاعر يرسم طريقاً واحداً
لحل المشكلة ، هو الكفاح وامتشاق السيف ففى حده
فصل الخطاب ، والسيف هنا ما هو إلا رمز الكفاح
والجهاد .

والشاعر في هذه الفترة يتفق مع الشاعر في الفترة
التي سبقته ، من أن الكفاح هو الطريق الصحيح لحل
الأزمة ، وما سواه فهو تضييع لبقية الحقوق ، .. مع
الفارق في حماسة الشاعر فيما بعد ١٩٤٨ م حيث كان
يخس بمرارة المأساة بشئ صورها ، لذلك كان برماً
بكل شيء سوى الكفاح .

على أن الشعر وهذا مستواه ، ليس غير مقدمة لما
هو مطلوب منه ، بعيداً عن الخطابية ، والروية السطحية
للأشياء ، انه كان نوعاً من إرضاء النفس ، وتعبيراً عن
خوالجها .

• • •

خالد الفرج شاعر فذ من شعراء الجزيرة العربية ،
وعى الأحداث ببصيرة ثاقبة ، تألف بينها وبين تجربته
في التحام جاد ، فترك شعراً اتضحت أبعادها ورويته
العميقة في جوهر الأشياء ، وشعر خالد الفرج الذي
استحدث عنه ، نظمه مع مولد الأحداث ، فعانقها
واسماً بذلك أبعادها بصدق وحرارة وفي صراحة تامة
ولم يكتب شعره كاستجابة ملحة ، فابتعد عن كونه
مناسبة للحدث ، أو تاريخاً له ، وإنما كتبه بعد معاناة
صادقة للأحداث ، وبهذا عاش تجربة المأساة بصدق ،
وعبر عنها تعبيراً موفقاً إلى أبعد الحدود .

فهو عندما يتحدث في شعره ، فلما يخاطب أبناء
أمتة في صدق بجليه عليه موقفه من الموضوع الذي يتحدث
عنه ، ولتلف هنا عند حديثه عن اللاجئين (٤)

يا قوم هل فقد الإنسان قيمته
فصار يا قوم كالستاسد الضاري
ألا قلوب ألا عطف ألا صلة

حتى ولو من صلات الجار للجار
لا الحق عباد إلى أصحابه أبداً
فقد فقدناه في ذل وأعدا

ولا المشرذم وسيناه عن سعة
داراً بدار وإسهاراً بأعشار
فالشاعر هنا يجمع في هذه الأبيات أكثر من بعد ، فهو
في موقف إنساني يدعو إلى إنقاذ الإنسان الذي شرد ظلماً

قل لي بربك هل فارتقتها هبنا
 وهل غدت لبني صهيون ميداننا
 وكيف خلقت «حيفا» بعهد نكبتها
 وهل مرتت على «عكا» و «يسانا»
 ولا يكاد الشاعر يمسح دموع عينيه الحزينتين ، حتى
 يصحو فزعاً من هول ما فعل العدو بشعب آمن ، فراح
 (يذبح) (الأطفال والنسوانا) وعجب (أينك السلم
 أرض السلم عدوانا) ولا يعجبه ما أثار العجب فيصبح هاتفاً :

الحق للمدفع القصاص ليس لمن
 يريد من «مجلس التضليل» إحسانا
 لا يزال الموقف يثير التعجب في نفس الشاعر بعد
 أن يدعو أمته للموت في سبيل الله إلعاء لدينهم :

أيقظ الظلم من أحشائنا وطناً
 ويخلق الافك من صهيون إنسانا
 وروية الشاعر هنا تبدو مهزوزة ، بسبب ما أثاره
 الموقف الفزع في نفس الشاعر من بللة فكرية ، فراه
 ساعة يتعجب بما يثير العجب ، وساعة يحياه الموقف
 بواقعية جعلته يدعو لمجابهة الظلم بدفاع مستميت لارجاع
 الحق المسلوب و «المدفع» هنا هو المتكلم الشرعي .
 هذا ولنا لقاء آخر مع أحمد السقاف ، عبر شعره
 بعد حزيران ١٩٤٨ الذي ما إذا كانت رؤيته قد تطورت ،
 سيكون ذلك في القسم الثاني من هذه الدراسة .

أما خالد الفرج فلا زلت أردد أنه الصوت الوحيد
 الذي ارتفع فيما بعد ١٩٤٨ م ، لقد كان (كالرادار)
 يلتقط الارهاصات غير المرئية ، فيبلورها في النفس ،
 ويذكي أوارها في القلب) وإلى جانب هذا ، فقد نجح
 في أن يواكب أبعاد المأساة ببصيرة ثاقبة ، حينما ركز
 من وجهة نظر إنسانية على ما أصاب الكيان العربي
 الحضاري ، فكان يدعو دائماً إلى أن يواجه الإنسان
 واقعه دون زيف أو تملق .. ولاكثر من مرة دعانا خالد
 الفرج إلى أن نعرف أنفسنا بأنفسنا ، فنتخذ من هذه
 المعرفة إنطلاقاً لاصلاح أحوالنا . ونرى مثل هذا في
 قوله (٦)

إن اليهود ملايين تضيق بهم
 ربي فلسطين من سهل ومن أكم
 العلم يعصدهم والمال يتخدهم
 فرميا اقتسمونا شر مقتسم

وبهتاناً ، فعاش ضيعة الظلم والجور . والشاعر هنا يبني
 دعوته إلى بني قومه على حقائق تاريخية وجغرافية ، فضلاً
 عن أن هذا المشرد ، إنما هو أخ لكل عربي فينا ، وفي
 الحال يتخذ الشاعر من هذا الموقف الإنساني ، منطلقاً
 ليدعو لمواجهة الواقع الذي تعيشه أمتنا في مأساتها ، متخذ
 شعاراً (وجهاً لوجه) أسلوباً له ، في حين نراه يعبر
 بصراحة غير مزيفة أننا فقدنا الحق ، إنه بهذا بلجاً إلى أسلوب
 المصارحة في الوقت الذي أثار العواطف بما عرضه من
 صورة لوضع المشرد من وطنه .

إن خالد الفرج استطاع في أربعة أبيات أن يعالج
 موضوعاً كهذا ، مهما في أصل المأساة الفلسطينية .
 وعلى التقيض من مجابهة الواقع تحت شعار (وجهاً
 لوجه) نجد فريقاً من الشعراء يتخدعون أنفسهم وأمتهم ،
 بآمال سطحية مشرعة ، لا تعتمد إلى حقيقة أو واقع .
 فهذا محمد حسن عواد ، وهو من الشعراء في بلادنا الذين
 لهم تجربة طويلة في الأدب والحياة ، يقول من قصيدة
 له بعنوان (إلى فلسطين) :

سنعيد ما لقي الجلود مضاعفاً
 عند الجلود من البلاء المتقل
 سنعيد (لليرموك) يوماً ثانيّاً
 في قلب (تل أبيب) عودة موغل
 إنه في هذه الأبيات ، ليس أكثر من مجرد خطيب
 يعتلي منبر الخطابة بعد ثماني سنين من قرار التقسيم وبداية
 المأساة بشكل جدي ، ليعلم أن يوماً آخر (لليرموك)
 سيعود في (تل أبيب) ، فعلى أي شيء يبني الشاعر
 إخباريته بهذا الأسلوب التقريري ، وماذا يمكن أن يعني
 الإنسان العربي من وراء هذا القول السطحي ، إن الشعر
 يوم يتمخض عن آمال سطحية ، فإنه يتخلل عن صفات
 الخلود ويترن من هلباله إلى مجرد كلام عادي تطويه
 الأيام .

وهذا الموقف من المواد يجرنا إلى الشكل الذي عرض
 به أحمد السقاف رؤيته ، بعد عام التقسيم ، فما هو يسأل
 أحد المهاجرين من فلسطين عام ١٩٤٨ م ، على طريقة
 قيس بن الملوح (يجنون ليلى) عندما أجش (للتوباد) ،
 وأخذ يتناهى ويسائله عن (ليلى) وقومها ، والموقف مع
 أحمد السقاف يتغير ، إنه موقف إنساني يقف الشاعر
 على تلتة بعد أن أعياه الصعود إلى القمة (٥) :

يا ساكب الدمع الآمأ وأحزاننا
 أضمرت في القلب والاحشاء نيرانا

يا قوم ساعتنا العظمى لقد أزفت
وليس غير امتشاق الصارم الخلد
فكونوا وحدة منكم مؤبدة

بكل مقتدر بالله معتصم
فالى جانب أن خالد الفرج يسير مع بقية الشعراء
الذين يمسدون الكفاح وجهاً لوجه مع العدو كحل لانها
الوجود الصهيوني ، والهاب حماسة الإنسان العربي ،
والوقوف به على واقعه ، والتركيز على كشف زيف
الحل السياسي الذي لم يزل يغطرس على القضية ، فإنه
يبث إشارات ضوئية مستمرة تعلن عن وقوع الخطر ،
فالعلم الذي يعضد إسرائيل والمال الذي يخدمهم ، وصل
بهؤلاء إلى بناء المفاعل الذري ، بينما لا تزال الأمة
العربية تفتقر إلى بناء مثل ذلك المفاعل . إنه يد رؤيته
عبر واقع الأمة العربية ، وهناك عند خالد الفرج حل
واحد هو امتشاق الصام الخلد . إنه يقرع جرس
التنبيه بعد أن أضاء النور الأحمر الذي أعلن عن خطر
سيقع .

- ٢ -

«أرض الشهداء» (٧) لشاعر البحرين إبراهيم العريض ،
من أطول الملاحم التي استوحيت أماسة فلسطين ،
وتتضمن خمسة أناشيد هي :

- جبل الزيتون
- الإنشاد
- باب السواد
- هيكل سليمان
- قبة الصخرة

وتدور حوادثها على أرض فلسطين في عام ١٩٤٧م ،
ويصور الشاعر في ملحمة جانباً عادياً من الكفاح
الفلسطيني ، وتبدأ حوادثها بأن تقص «دعد» على أحد
أقاربها «ظافر» حوادث المأساة وكيف استشهد أخوها
«أحمد» في المعركة ، وعن «الفتيات» اليهوديات اللاتي
أطلق العرب سراحهن حين انتصارهم في المعركة ..
وكيف أن العرب حينما كانوا على مشارف (تل أبيب)
غادر بهم ذئب منهم ، فتنحرف الحرب عن غايتها ،
وتقع المأساة وجلاء مليون فلسطيني عن بلادهم ، فيصمم
«ظافر» على الانتقام من هذا الخائن الغادر ولكنه
يستشهد في المعركة قبل أن يظفر بالخانن .
وتنتهي الملحمة بنصر العرب ، وتطهير أرض
فلسطين من اليهود . وهذا التفاؤل والأمل الذي سيطر

على الشاعر حتى أتى ملحمة بهذه الصورة ، يجعلها
تنظم في سلك الأعمال العادية التي تبدأ بعقدة سرعان
ما تنفك ، وهنا تبدو كأبي حكاية عادية ، تبدأ بالمتاعب
بين معشوقين مثلاً ، وتنتهي بالتفاهم وزواجهما بعد
ذلك .

ولقد كان بإمكان العريض أن يكتشف الفدائي
كفيل في ذلك الوقت المبكر من عمر المأساة الفلسطينية ،
لو أنه نحا بالأحداث إلى غير ما انتهت إليه ، فيجعل من
بطله «ظافر» مكافحاً يؤلف فرقة سرية ، تهاجم داخل
الأرض المحتلة ، وكان من الأنسب أن ينهي الملحمة
دون اللجوء إلى هذه المطلقات والآمال السطحية .
وقد نفخ الطرف من تلك الهنات ، مقدرين
للعريض عمله ذلك ، فملحمة «أرض الشهداء» من
أوائل الملاحم التي استوحيت المأساة في أدبنا العربي .

* * *

«أغنية العودة» (٨) قصيدة رائدة للشاعر السعودي
سعد البواردي ، جعلها عنواناً لديوانه الذي صدر في
عام ١٣٨١ هجرية ، ويضم مجموعة من القصائد عن
المأساة الفلسطينية ، وعن الجزائر .
والقصيدة على شكل محاورة بين «هند» الأم المشردة ،
في عقلها السادم من عمرها ، وإبنها الوحيد «أدب»
الذي يبلغ من العمر إحدى عشرة سنة ، ومع أنه في هذا
المستوى من العمر ، فإنه يعيش بقلب كبير ، إنه يسأل
أمه أسئلة كبيرة ، ويتحدث عن مأساة وطنه ، حديث
العاقل الواعي لمجرى الأحداث ، ولا ينفك عن السؤال
- كيف يعود إلى وطنه - . فاسمعه كيف يرسم أبعاد
حياته :

أما في أمسي خنوع

وفي سما يومي دموع

وفي غدي ، أه ، وجوع

واسمعه ثانية ترّدى إحساسه بمرارة واقعه المولم :

أما قولي ، كيف نجحت اليهود ؟

ولا جهود

ولا قوة تقتص للحق الشهيد .

هنا استطاع الشاعر أن يحفز بطله ، بعد أن جعله
يقف بوحي على مجرى الأحداث التي تجري وجرت في
وطنه وقد هبأ بذلك لأن يتولى مسئوليات الدفاع عن
وطنه ، وقد تولدت هذه الرغبة لديه ، في حين أن أمه
تخبره أنه لم يزل طفلاً ، وعلى غير ما كنا نتوقع ، تخبره

فيه النموذج الصادق للفدائي الذي يكافح اليوم بإيمان
«أديب» لاسترجاع وطنه .
١٣٩٠/٦/٨ هجرية

الرياض — عبدالله الماجد

- (١) مجلة الفتح ، السنة الثالثة عدد ٦٠٦
- (٢) كamil السوافري ، الشعر العربي الحديث في مائة فلسطين
- (٣) مذاهب الأدب ، محمد عبدالمعزم خفاجي ص ٢٥٢
- (٤) ديوان خالد الفرج ص ٢٠١
- (٥) كamil السوافري ، الشعر العربي الحديث في مائة فلسطين
- (٦) ديوان خالد الفرج ص ٢٨٨
- (٧) صدرت عام ١٩٥١م ، بيروت .
- (٨) أغنية العودة ، سعد البواردي ص ٢٧ — ٢٢ / الرياض

ب وفاة والده ، ولكن هذا الخبر على ما يحمله من تأثير عاطفي في نفس صبي فقد أباه ، لم يؤثر على عواطفه بل زاده إيماناً وصموداً مبدأ الدفاع عن الحق الذي سلب في وطنه ، فاما أن يموت كما مات أبوه كريماً في معركة الشرف ، أو يتحقق التأثر لأبيه وللكرامة ولوطنه . وتنسوقنا إلى جانب ذلك ، عدة أشياء هامة ، فقد نجح الشاعر من خلال عرضه الموفق لفكرته ، وتصويره المأساة تصويراً رائعاً ، ففى أثناء ذلك استطاع الشاعر أن يكتشف الفدائي قبل ظهوره ، وذلك شيء مهم في عمل شعري ظهر في ذلك الزمن . ونلمس شخصية «أديب» كبطل فدائي منتظر في حديث أمه له وهي تقول :

ستشب يا ولدي ، ستقهر سطوة الألم الكبير
ستثور كالإعصار ، كالقندر المرير
ستطوح الدخلاء في زحف مثير
ستعيدنا داري ودارك
فخطى الصباح إلى جوارك
والنور في أرض الكنانة ، في بدي بردى فدى لك
في مهبط الوحي الأمين
وفي كهوف الصامدين
سيستعيدنا سما — الجنين —
ولدها ستشب في دنيا طرويه
في عالم سادت به دنيا العروبة
في وحدة الزحف الكبير .

ونلاحظ أن النموذج الفدائي ، في «أغنية العودة» جاء على هيئة بطل ، وفي شخصية طفل ، واكب أحداث وطنه الدامية ، وعاشها مشرداً تحت لقع الهجير ، وقارس الشتاء ، فعاش تجربة أحداث وطنه .

وقد هيا سعد البواردي بهذا الوضع المعبث حدوث أي شيء يغير الوضع ، فكان لابد من اكتشاف الفدائي ليكون وجوده كشيء أساسي يحد من تكالب العوامل التي تزيد الوضع إساءة .

ومن هنا كان ظهور الفدائي في «أغنية العودة» أمراً ضرورياً خلقته ضرورة الأحداث . وهياً الشاعر لظهوره بأن جعل «أديب» يعيش الظروف التي تشكلت في موقف التحدي ، ومنى ما وجد التحدي وجدته الإستجابة وقد وجد أديب نفسه أمام موقف كان التحدي فيه هو المائل في المواجهة ، فاستجاب لهذا التحدي ، فوجدنا

رَأَيْتُكَ الْأَدْبَاءَ فِي الْكُؤُوبِ

تَرْحَبُ

بِضُيُوفِ نَدَوَاتِهَا

الْأَسْبُوعِيَّةِ مَسَاءَ

كُلِّ يَوْمٍ أَحَدَ

بِعَمْرِهَا الْجَسَدِ فِي الْمَدِينَةِ



محمّد عبد الحليم عبد الله



شعر

العوضي الوكيل

هفا لك قلبي فيمن هفا
فجئت لأشدو فيمن شدا
وأنشد بين يديك الـذى
تعتقت منـذ عهد الصبا
لئن كان في أمـه ضاحكـا
قليل الشجون قليل الأسى
فليس هو الآن إلا النـسـواح
وإلا الدموع وإلا البكا
مضى الصـحبُ وانفض أنس الحياة
وأفردت ما بين هذا الـورى
وودعت فيهم شبابا مضى
وعهدا نضيرا طواه الردى
فألذ لي بعدهم من طعام
ولا ساع لي بعدهم من روا
فيا طـلا بين هـذى الضلـوع
رؤيدك ، طالت عليك الخـطـى
وما أنا من شعراء الطلول
إذا ما أناخ عليها الـبلى
فما هو إلا نشيج الحزبين
وما هو إلا نظم الـلظى
أيسألنى معشر ما أقول
لقد ضاع كل مقال سـدى
أبكى أخا العمر عبد الحليم
وأنعى الوفاء وأنعى الصفا
وواسطة من عقود الفنون
هوت فحوتها طباق الثرى
وأصوغ من صاغ روح الحياة
وصورها في جميل الرؤى

وأَفَقَهُ مَنْ قَفَّهَ الْعَاشِقِينَ
 وَأَوْصَحَ بِالْفَنِّ سِرَّ الْهَوَى
 وَأَكْرَمَ مِنْ كَرَمِ الْبَائِسِينَ
 وَصَوَّرَ فِيهِمْ جَمِيلَ الرِّضَا
 حَنَانِكَ كَيْفَ حَثَّتِ الرُّكْبَانَ
 وَمَا زَالَ فِي الْفَنِّ مَا يَرْتَجَى
 لَقَدْ ضَلَّ قَوْمٌ طَرِيقَ الْبَيَانِ
 فَتَنَاهُ الطَّرِيقُ بِهِمْ وَالتَّوَسَّى
 وَصَاغُوهُ مُتَّبِعًا مَظْلَمًا
 وَشَقِيقَةً كَحَدِيثِ الرُّقَى
 تَجَافَوْا بِهِ عَنِ مَدَارِ الْعُقُولِ
 فَجَمَّجِمَ رَائِيهِ مَاذَا يَرَى
 وَمَا هُوَ إِلَّا سَوَاءَ الطَّرِيقِ
 وَمَا هُوَ إِلَّا ضِيَاءُ الضُّحَى
 وَصَاغُوهُ هَذَا كَهَذَا الْبُتَاةِ
 إِذَا مَا تَنَادَوْا بِأَعْلَى الْبَنَى
 فَلَيْسَ يَمُتُ إِلَى يَعْتَرِبُ
 بَوَجْهِهِ . . . وَيَعْرُبُ عَنْهُ رَوَى
 أَيْجَمِلُ أَنْ لَا يُبَيِّنَ الْبَيَانَ
 وَنَحْنُ الْبَنُونَ لَأَمْ اللَّغَى
 وَمِثْلَانَا دُرٌّ قَدْ نُظْمِنَ
 بَيْنَ الدُّخُولِ وَسَقَطِ اللَّوَى
 أَمَا لِلضَّلَالَةِ مِنْ آخِرٍ
 أَمَا لِلْجَهَالَةِ مِنْ مُتَهَيٍّ
 وَتَمَّ حَدِيثُ لَهُ هَزْرَةٌ
 بِنَفْسِي ، وَعَصْفُ بَعِيدِ الْمَدَى
 أَيْقَتِلِ الْعَرَبُ فِي دَارِهِمْ
 وَبِالْقَرَبِ مِنْهُمْ جَمْعُ الْعَدَا

وَيَرْمُونَ أَنَّهُمْ كَى تَصِيبُ
 شَقِيقًا فَتَسْفِكُ حُرَّ الدَّمَا
 قَدْ اضْحَكْتُمُ النَّاسَ مِنْ حَوْلِكُمْ
 « وَلَكِنَّ ضَحْكَكَ كَالْبُكََا »
 وَمَرَّ بِكُمْ مِنْ دُرُوسِ الْقِتَالِ
 مَا لَوْ أَلَمَ بِصَخْرٍ وَعَعَى
 لَقَدْ جَاوَزَ الْخَطْبُ إِدْرَاكَكُمْ
 وَقَدْ بَلَغَ السَّيْلُ أَعْلَى الزَّبَى
 قَدْ انْبَلَجَ الصُّبْحُ لِلنَّازِرِينَ
 فَأَيْنَ الْعَبُودُ اللَّوَاتِي تَرَى ؟
 وَمَا تَنْفَعُ الشَّمْسُ إِنْ ضَوَّاتُ
 عَيُونًا تَمُكِّنُ مِنْهَا الْعَمَى
 وَمَا يَنْفَعُ اللَّوْمُ مِنْ لَائِمٍ
 قُلُوبًا صِلَادًا كَصَمِّ الصَّفَا
 . . .
 بَكَيْتُ أَخَا الْعَمْرِ عِنْدَ الْحَلِيمِ
 وَذَكَرْنِي الْخَطْبُ خَطْبُ الْحِمَى
 جَنَى الْفَنِّ مِنْ غَرَسِهِ مَا جَنَى
 وَلَكِنَّهُ هُوَ : مَاذَا جَنَى ؟ !
 جَنَى مِنْ مَوَاهِبِهِ مَا شَجَاهُ
 وَأَمْسَكَ مِنْهَا بِجَمْرِ الْقَضَا
 وَوَدَعَ دَنِيَاهُ لَا آسَفَا
 عَلَيَا وَلَا شَاكِيًا مَا جَرَى
 عَلَيْكَ سَلَامٌ كَفَطَرَ النَّبْدَى
 يُرَوِّى ثَرَاكَ إِلَى الْمُهَنَّةِ
 الْقَاهِرَةِ - الْعَوْضِي الْوَكِيلِ



في الشعر العربي



في شكل حكايات وانشيد وقصائد ، فإذا ما كثرت عناصر الملاحم احتاجت الى شاعر ينظمها تاريخا وادبا ، فإذا لم يوجد هذا الشاعر بقيت تراثا فجيا يعوزه الصوغ والتشويق وهذا يفسر لنا وجود هذا الفن عند بعض الشعوب القديمة دون بعض . وعلى ذلك يمكننا ان نفهم حديث الدكتور طه حسين (٣) الذي يقول فيه انه ليس واقتابل التثنية من ان الادب العربي يخلو من القصص ، وأنه يخشى ان يكون من يجحدون وجود الادب القصصي عند العرب انها جحدوه لانهم لم يحققوا بالقيبط معنى الادب القصصي ، وخصائص هذا الادب القصصي يوجد منها في الادب العربي — كما يقول طه حسين — فناء شخصية الشاعر في شعره ، وان هذا الشعر يكون مرآة لحياة الجماعة . ويؤكد طه حسين اننا لا نعرف شعرا يصور حياة الامة اصدق تصوير ويضطرنا ان نلبسها بآيدين كالشعر العربي . . ويخلص طه حسين الى انه اذا لم توجد عندها « الياذة » او « اوديسا » فليس من شك ان ما ادته الالياذة والاوديسا قد اداه الشعر العربي القديم من تصوير الحياة الاجتماعية وحياة الإبطال .

والذي لا شك فيه ان الشعر العربي الجاهلي لا يضمره خلوه من الملحة لما فيه من غناء كثير يغني عن الملحة واتباعها ، ولكننا نعلق على قول طه حسين بانّه لم يزد على ان اكد ما قاله « مول » وان الشعر الجاهلي كان يغني هذه الحاجة الطبيعية في الشعب العربي بطريقته الخاصة . ولكنني لست افهم معنى استخلاص الدكتور الجيزاوي من حديث طه حسين انه ينكر وجود آلهة في الشعر العربي ، وأنه يتحاشى تسمية الشعر القصصي في الادب العربي بالملحة، وهذا! كان القضية قضية تسمية وكفى ، وليس هناك احتياط

صدر اخيرا بالقاهرة كتيب صغير في حجم الكف يحمل عنوان هذا المقال (١) يحاول فيه مؤلفه ان يرد على الزعم بان الادب العربي خال من الملاحم والشعر القصصي ، بحجة انه لا يوجد في الادب العربي قديمه وحديثه — عمل شعري — يمثل ملحمة هوميروس من حيث طولها وما فيها من اطلاق العنان للخيال حتى يمكن ان يسمى ملحمة عربية .

والدكتور الجيزاوي مؤلف الكتاب يريد ان يبين من وراء مؤلفه : ان العقيدة العربية لم تكن عاجزة عن انشاء مثل ملحمة هوميروس في عصور الجاهلية ، وانها الذي حال دون ذلك انها هو ظروف البيئة واختلاف العقيدة ، بدليل ان هذه العقيدة قد انطلقت في مجال الشعر الملحي عندما وجدت في بيئة قريبة الشبه من بيئة اليونان قبل هوميروس . ويدلل المؤلف على هذا الرأي بادلة تاريخية تذهب الى ان الهجرة العربية الى مناطق العراق وبابل كانت قديمة العهد جدا . ويرى المؤرخ « باتون » انها ترجع الى اكثر من ستة وثلاثين قرنا قبل الميلاد . وعلى هذا الاساس يبني المؤلف رايه حول اعتبار الآثار الادبية التي نشأت بعد ذلك في بابل ذات صلة وثيقة بالعقيدة العربية ، وان هذه العقيدة لا بد ان تأخذ اتجاها يتناسب والبيئة المستقرة بين النهرين، ويختلف عن نظائره في قلب الصحراء ، حيث لا استقرار وبمثل المؤلف للملحة القديمة « بملحة جلمبش » .

في هذه السطور اوجزنا دعوى المؤلف ودفاعه ، وفي اعتقادنا انه بكتابه هذا انها يبرر لاسباب انعدام الملحة في الادب العربي من حيث اراد اثبات وجودها ، يتضح ذلك وراء كل سطر من سطور الكتاب . لكننا نحب ان نقول ان هذا الجنس الادبي ، كما يلاحظ مول (٢) ، في اصوله الاولى طبع في الشعوب بترأى

تأليفها : الشاعر والمثشد والعارف على الربابة ، ومن هذه الملاحم العربية الشعبية : ملحمة عنتره ، وملحمة ابي زيد اللهالي ، وملحمة الظاهر بيبرس ، وكلها ملاحم ذات تأثير مقطوع به في الاداب العالمية .

وبدءاً ، نحب ان نناقش مفهوم الملحمة عند الدكتور المؤلف وهو يخصص نملاً لتعريف الملحمة في (اللسان) العربي ثم في اصطلاح النقاد ... « وهؤلاء التقاد هم جورج زيدان واحمد حسن الزيات ومله حسين » ويستخلص المؤلف من هذه الاراء خصائص الملحمة ، كالطول والموضوعية والحديث عن الحروب ، واطلاق العنان للخيال في تصور مشاركة الالهة كما كان يزعم الاقدمون للبشر في المارك .

ولكن هذه الخلاصة قد نسبت او تناسلت عنصر « الحكاية » وهو العنصر المميز كما سبق القول . والمنبع الاول للملحمة عند هوميروس يشير الى اهمية هذا العنصر . وكذلك تحب ان نوضح ان اشتراط حديث الملحمة عن الحروب ليس اشتراطاً مطلقاً . فالملحمة لم تزدهر الا في عصور الشعوب الفطرية حين كان الناس

علمي من جانب الباحث !! ويعمل الدكتور الفاضل السر وراء تحاشي مله حسين بطول القصائد ، فليس في الشعر الجاهلي ما تبلغ احدى قصائده ما بلغته الابلاية . كل هذه التفسيرات التي يخرج بها مؤلفنا الفاضل لا تصل الى لب الحقيقة مطلقاً ، انها طريق متعرج يبعد بنا شواطئاً عن الغاية ، فاذا كان مله حسين « رينان » ينكر ان وجود آلهة ، او ان القصاصد العربية ليست في طول الابلاية ، هذا كله ليس مبرراً بجمعنا نزع من ذلك كان سبباً في خلو الادب العربي الجاهلي من الملاحم ، ودحض ذلك ليس مبرراً للقول بوجودها فيه ! واذا كان مله حسين يرى ان « الموضوعية » وفناء شخصية الشاعر في الملحمة هي اهم خصائصها ، فانا نحب ان نقول ان الموضوعية ليست البرزة الاولى في الملحمة او الشعر القصصي ، اذ ان هذه الموضوعية يمكن ان تتواجد في اجناس ادبية اخرى ، والشعر التعليمي يملك الكثير من هذه الموضوعية ؛ ولكن اذا كانت هنالك خاصية يجب ان تتميز بها الملحمة فانها « الحكاية » اذ بدونها لا يمكن ان نسمي الملحمة ملحمة ، ولا القصة قصة ! واذا نظرنا الى ما وصلنا من شعر جاهلي لا نجد اشارة واحدة توميء الى وجود هذا الجنس الادبي .

وقد يرجع السبب في ذلك الى طبيعة البيئة العربية وقد يرجع الى ديانتها الخاصة ، ولذلك لم نجد في الشعر الجاهلي شعراً دينياً على مثال قصائد الهند والفرس والاساطير اليونانية الشعبية ، وتوضع لنا هذه الحقيقة الفارقة بين اديان العرب الجاهليين واديان الهند واليونان والفرس .

والدكتور الجيزاوي قد قام بجهد يشكر عليه ، ولكننا نأسف اذ نقول ان الجهل بعلم التاريخ الجاهلي دفع الكثيرين الى الاعتقاد بسرائ وجود ملحمة في الشعر الجاهلي ، ولكن القليل من هذا العلم ينقض هذا الظن . والذين يعتقدون ان خلو الادب الجاهلي من ملحمة فيه انتقاص لقبيته يخطئون ، اذ ان لكل ادب طبيعته الخاصة ومكوناتها التي تتكون منها علاقات تأثير وتاثر بالادب الاخرى مما يؤدي في النهاية الى عسالية الادب . وينقلنا هذا الحديث الى القسم الثاني من كتاب الدكتور الجيزاوي والذي يتحدث عن « الملاحم في شعرنا الحديث » والصلة بين ما انتقل من حديث ، وبين هذا الحديث ، نزع من العصر الجاهلي لم يكن يتناسب بعلاقات حسية ذات تأثير وتاثر بالادب الاخرى لاسباب موضوعية ، واسباب ترجع الى طبيعة وخصائص العقيلة العربية في ذلك الحين . ولكن بعد الاسلام امكن ان تثر علاقات التأثير والتاثر فكانت الشعوب التي تعربت في العراق والشام ومصر وشمال افريقيا تخلق ملاحم شعبية لا تنسب لشاعر معين ، وقد يشترك في

بقلم
عبد العزيز
شرف



يخطون بين الخيال والحقيقة ، بين الحكاية والتاريخ . « بل كانوا يهتدون بفغامرات الخيال اكثر مما يهتدون بالواقع على ان الخيال الجالبع كان يعيش في وفاق تام مع العقل لذلك العهد ، اذ ان سهولة الاعتقاد في ظل الحياة الفطرية لذلك العهد كانت توفر في العقل وبين ظهور الارواح والجن ، وتدخل الملائكة او الشياطين في شئون الناس . فكانت عجائب حوادث « اوديسا » هوميروس مثلاً مطابقة في خيال اليوناني للتجارب التي يمكن ان يقوم بها ملاح يخوض البصار ويتعرض لمرائشها وعواصفها . وهذا هو الذي سوغ مثل هذه المجانب في الملاحم عنصراً جوهرياً فيها (٢٤) . وقد نشأت الملحمة الدينية كذلك في الكومبيدي الالهية La DIVINA COMMEDIA للشاعر الايطالي الخالد دانتي (١٢٦٥ - ١٣٢١) ومن الملاحم الدينية ما خرج من روح الدين كملحمة الفردوس المفقود (THE PARADISE LOST) للشاعر الانجليزي ملتون

(١٦٠٨ - ١٧٧٤) وقد نشرت في اثني عشر نشيدا ، وهي تحكي خروج آدم من الجنة على اثر الاغواء ولكن الشخصية الاولى فيها هي شخصية الشيطان في تهرده . ويحكي المؤلف كثيرا من ارائه على لسان الشيطان ، ويشعر القاري ان تهرده الشيطان كانت فيه كبرياء غير مبقوتة في كل جوانبها . . وكان هذا الاتجاه في وصف الشيطان جديدا زاد فيه الرومانتيكيون — فنيا بعدد — في تهرده الميناميزيقي . .

وتجدر الإشارة في هذا الصدد الى ملحمتين رائعتين ، الاولى للشاعر الكبير عباس العقاد وهي « ترجمة شيطان » وهذا الشاعر قد انتهى الى وضع الشعارية المصرية موضع الاختبار الدقيق بعد تلك النهضة الحديثة التي قامت في اول هذا القرن على يديه ويدي زملائه المازني وشكري اللذين كانا اداة فعالة في حمل تيار الاداب الغربية الى الادب العربي الحديث ، وكان العقاد يتساءل : هل يسمع من المعبرة المصرية او العربية نغمة جديدة في الشعر اذا اتصلت حياة الشعب بالحياة المهيبة ، واتسع الافق امام هذه المعبرة فلم يبق حبوسا في مجال تلك الخواطر التي تطرق النفوس العالمة وتردد في الاسواق ؟

وحين يصلح العقاد الاجابة على تساؤله هذا نراه يعترض عن ضيق الاحاساس في السليقة الشعارية عند المعبرين بثبوت الدولة المصرية من اقدم القدم ، وقد ثبتت معها دولة الكهانة ، وجبروت القداسية ، فانبسط سلطانها الموروث على عالم الدين وعالم المعرفة وعالم الفن وعالم السياسة واصبح الكلام في الالهة والملوك والتواريخ حقا موتوفا على الكهان والعلماء (الرسيسين) ومن هنا وجدت القرائح وتمعلت المواهب ، وكان هذا الجمود دأب كل كهانة قوية ، فلا حياة للفنون الحرة والشعر الطليق في ظل هذه الكهانات البائذات . وخلاصة ما يصل اليه العقاد هو تقليل الغرابة عند من يستغرب خلو التاريخ المصري من شاعر شعبي كهوميروس ، ومن اليه من قالة اليونان (٥) .

ويرى استاذنا العقاد — رحمه الله — ان اتساع الميثولوجي (الاساطير) لدى الاربيين وضيقتها عند الساميين هو السبب في افتقار الادب السامي بصفة عامة الى الشعر القصصي ، ووفرة اساليب هذا النوع في الشعر من الادب الآري ، لانا اذا راجعنا اكبر قصص الهنود والفرس ، وتقصينا الملاحم الغربية قديمها وحديثها وجدنا انها تدور كلها على روايات الميثولوجي وتستند اصولها منها . ومن ثم وسعت القصص منطقة الشعر فكانت له ينبوعا تفرعت منه اساليبه وتشعبت اغراضه ومقاصده ورحم الشعر العربي منها غوفت به التدرج عند ابواب لا يتعداها (٦) .

ولقد استطاع هذا الشاعر المجدد ان يقفز بالشعر العربي قفزات اعادت الى مجده العريق ، من خلال اللوحات النقدية ، والدراسات النظرية المبتارة التي قدمها الى جانب رايده الحقيقية للتجديد من خلال التطبيق الواعي والرؤيا الإبداعية التي تميز بها العقاد في كل ما كتب .

وملحة العقاد التي اشرنا اليها هي « ترجمة شيطان » وهي تنزع الى الرمز في التعبير ، وتظهر في هذه الملحة قدرة الشاعر على الإبداع والتشخيص ، وقد نظمها في وزن — وصفه الشاعر الكبير عبدالرحمن صدقي — بأنه متقزز الإيقاع ، وعدل فيها عن التزام القافية الواحدة التقليدية في القصيدة العربية ، وتقدم جاء التقزز في الإيقاع والتنوع في القافية من المستلزمات الجوهرية ، للاسبغها ما يحتاج الملحة من زوينة المعيان ، فضلا عما يتقلب على عين القاري للملحة من تعاسب مناظرها واختلاف موافقها وسرعة مغاقتها .

وتبل ان نعرض للملحة الثانية وهي ملحمة « شاطر الاعراف » للرحوم م.ع. الهمشري ، نصل الحديث عن مفهوم الملحة وكيف يمكننا ان نعرفها بعد المناقشة السابقة لكتاب الدكتور الجيزاوي ، فنحن نعرف ان الملحة وايد غربي ، والغريسون يطلون عليها ، « Epos » وتدعى اشعار الملاحم « Epic Poetry » ويكتسب ان نضع تعريفا للملحة هكذا : « الملحة قصة شعرية طويلة ، تصف اعمال ابطال عظيم ، وفي احيان كثيرة تصف الحوادث » .
وهذا التعريف يجمع خصائص الملحة المميزة ، فالقول بانها « قصة شعرية » يؤكد اهمية عنصر الحكاية في الملحة وما تشمله من حوادث خطيرة قد تدور حول بطل عظيم ، وهذا ما اكده ارسطو في كتاب الشعر حيث قال :

« يجب ان يبنى القصص في هذا الفن الشعري بناء روائيا كالقصة في المساء ويكون اساس هذه القصص عملا واحدا تاما كالما في ذاته ، ذا فائحة ووسط وخاتمة حتى اذا استوى كالخالق كالا كالا امكنا » ينتج لذته الصحيحة « وفي موضع آخر من كتابه يبين ارسطو ان « الملحة توافق المساء من حيث انها محاكاة للشخصيات والادوار العقلية في نظم جزل مخم ولكنها تفرقها في :

١ — انها تجري على نوع واحد من الوزن وتجيء على اسلوب قصصي .
٢ — وتختلف عنها في الطول ، فالمساة تحاول على قدر الامكان ان تقصر مداها على دورة شمسية واحدة او قريب من ذلك ، ولكن زمن الدور الملحي يسر

محدود . اقول : هذا غرق آخر بينها ولكنها كانتا في البدء متشابهتين في هذه الناحية .

٣ - وتختلفان ايضا من حيث اجزائهما الجوهرية فبعضها شركة بينهما وبعضها وقف على المساء فمن كان بصيرا بجمال المساء وتبحها فهو بلا ريب بصير ايضا بما يلحق الملحة من جمال أو تبع . إذ ان كل اجزاء الملحة موجودة في المساء ، وليس كل اجزاء المساء موجودة في الملحة .

وقولنا انها « شعرية » يفيد بان لغتها تختلف عن لغة الانجاس الادبية الاخرى التي تكتب نثرا ، كما ان لغتها يجب ان تكون فخمة واسلوبها رفيعا ومن وزن قوي لغتين .

ويجب ان تتوافر للملحة « الوحدة العضوية » ولهذا ينبغي في تأليف الملحام كما يقول ارسطو « الا تكون مشابهة للقصص التاريخية التي لا يراعى فيها فعل واحد ، بل زمان واحد ، اعني جميع الاحداث التي وقعت طول ذلك الزمان لرجل واحد او لمدقرجال ، وهي حوادث لا يرتبط بعضها ببعض الا عرضا » .

وهكذا يمكن ان نوجز القول ، بان الرجوع للاصول مفيد ، وهذا ما جعل الدكتور الجيزاوي يفضل في مسالك ابعده عن الغاية التي ارادها ، فلم يوفق في بحث اصل الملحة ولا تحديد خصائصها ، مما جعله بالتالي يتعسف في تبريراته ، ومما أدى به في النهاية الى ان يختار نماذج ابعد ما تكون عن الملحة بخصائصها الاولى لتحيل القاريء اليها في موضعها من الكتاب ، وهو بسند دراسة تطبيقية للملحة في الشعر العربي الحديث ، فلم تخرج النماذج التي اختارها حتى الياذة محرم عن ان تكون شعرا تعليميا خال من كل المقومات التي تجعل منه شعرا غنائيا على اقل تقدير ، فهي الى النظم اقرب من ان توصف بكونها شعرا .

ونحيل الدكتور المؤلف الى ملحة العقاد التي اشراها اليها ، ولم يشر اليها في مؤلفه ، وكذلك الحال بالنسبة للملحة الهشري ، و « بساط الريح » و « عبقر » لغزوي وشفيق العلوف . لمل هذه النماذج ان تصل بمؤلف « الملحة في الشعر العربي » الى نتائج طيبة تتاح له اذا اطلع على هذه النماذج ، وهو امر غريب يضاف الى عدم الرجوع الى الاصول في التقدير ، الا يرجع مؤلف الى « ظواهر » ابيية تتصل بموضوع دراسته وتحتاج الى مناقشة ، ولو ادت به الى نتائج عكس ما نتوقع !!

ونترك هذه الملاحظة ، لننتحدث عن الهشري ، الذي تمتع بخيال خلاق كبير ، ولديه قدرة بارعة على خلق اساطير ، وقد برز الهشري في الشعر الرمزي بصفة خاصة . وقد يكون الهشري كنموذج

فرد قاعدة شاذة في شعرنا العربي الحديث لا تجعلنا نعتبره قاعدة عامة مما يستتبع بالضرورة القول بان الشعر الحديث قطع شوطا في هذا الجنس الادبي ، إذ ان الهشري خياله غربي اكثر منه شرقيا كما تلح في شعره روح الكآبة والحزن ، ولعل هذا ما جعله يميل الى تصوير السكون والظلمة والوحشة ، وقد كان الشعر الرمزي وسيلة الى ذلك كله حتى يعبر عن المجهول .

كتب الهشري « شاطئ الاعراف » وهو لم يتجاوز العشرين من عمره القصير وبعث بها في ذلك الوقت لصحيفة « السياسة الاسبوعية » التي عنيت بنشرها وقدم لها رئيس التحرير الدكتور محمد حسين هيكسل بقدمة تشيد بعبقرية الشاعر الشاب وتثني عليه . وقد علق الشاعر على شاطئ الاعراف فقال :

« الاعراف كما فسرنا المفسرون مكان بين الجنة والنار واطلقت هذا على شاطئ خيالي يقع وراء عالم الحياة ويشرف على عالم الموت . بعد ان مات الشاعر حملته آلهة الشعر على زورقها السحري في بحر الوقت واربست به على هذا الشاطئ » .

ويصف لنا الشاعر كل ما رآه في طول رحلته من عجائب الموت التي تحلم بها كل شاعرية تسلم زمامها الى الخيال المطلق !
« وقدما يحمل الشاعر الى شاطئ الاعراف يصف لنا هذا الشاطئ لم يروعه بحر هائج مصطبغ بشرف عليه شاطئ الاعراف فيصفه لنا : هذا البحر هو « بحر الوقت » !

ويعترض هذا البحر على صفحة الاقوى هيكسل قصر خرب به فتحات مظلمة تنساب في خلالها مياه بحر الوقت وتغني في احشاء المجهول والعدم : هذا الهيكل الحالك هو « قبر الليالي » التي كانت تدفن اشلاءها فيه اثناء الحياة . وبينما كان الشاعر يرى ذلك طلع عليه موكب فخم من زوارق سحرية يتقدمها فلك عليه خيال ملك يعزف على قيثارة .

هذا الملك هو الحياة تقود عناصر الوجود من الجبال والشر .. الخ في زوارقتها ، وير ذلك الموكب في بحر الوقت واخفت في غياهب هذا القصر الذي هو قبر الليالي ، ثم ارضى على العالم استار العدم والصمت !

وهذه الملحة تتكامل فيها عناصر الملحة بمعناها الفني ، بناؤها محكم ، وتتوافر فيها الوحدة العضوية ، وهي تختلف عن ملحمتي هوميروس من حيث موضوعها ورمزيها ، وهي كذلك تخالف « الكوميديا الالهية » لدانتى و « رسالة الغفران » للمعري ، على الرغم من ان موضوع شاطئ الاعراف الرحلة الى العالم الاخر فدانتى يصف ما لا يرى ، وهو يقرب ذلك من عالمنا في

بعث الشمر من لدنه نسيما

فناجح المطر طيب التفهمات
هز قلح الصبا فابظف فكري

فنهت بي سفينة الذكريات
في خضم الافكار تطوي بي الوقت وتهفو الى ضفاف الحياة
وفي المقدمة النظرية التي كتبها المهشري ما يؤكد هذا
القول فهي « ذكريات حزينة تحاول ان تحجبها اكتمان
سنوات اربع فنهكتها اشباح سود لا تزال تتراءى امام
عيني .

« كنت اتأذى في المنصورة وقد مرت علي فيها
سنوات ثلاث تغيرت في انائها نفسي وحالت الى صورة
باهتة من الابل المكتشب الياس .

« ولست ادري اكان جو المنصورة هو الباعث
على ذلك وهل كان في ايسيات شتائها الحزين المنقضى
ما بعث في نفسي هذا الشعور المتشائم نحو الحياة
ام كان ذلك على اثر خلجة .. استغفر الله .. بل
خلجات كثيرة خفق لها قلبي في ادوار حداثه مرت بين
التاسعة والخامسة عشرة التي انتهت وما انتهت الى
الثامنة عشرة من عري ؟

« هي خلجات انهكت قوى هذا القلب واحالت
شعاع الابل الربيعي الفاضل الى خطفات باهتة من
شفق شتاء ولا تزال تخفق على ضعفها في محراب الحب
.. وذاقت هذه الحال في نفسي سوءا فنهبطت نفسي من
جدي ذلك الى قرار من الحزن سحق لا ادرى سببه
فلم اجد بدا من ان اترك هذا البلد الحزين حسب مشورة
الاطباء الى بلد اخر اجد في جوه سلوى ، فاخترت
القاهرة .. مقابا .. ولكن كان ما خفت ان يكون : فقد
هاجت سماء المدينة الازلية وروحها العتيدة الناعسة
الحالة على اعتاب القدم والابد .. »

الى ان يقول : « لقد انتهت « شاطيء الاعراف »
ولكن هذه الروح العلوية التي غمرت سماء حياتي بنور
جمالها الباهت الحزين وهي تصاحبني في شاطيء
الاعراف ان تنفك صاحبتني بعد شاطيء الاعراف (A)
وتصور اللحظة الشعرية ان الشاعر قدم مات وخدر
الفناء شكاته وحملته سفينة الذكريات الى رحلة
مجهولة ، وهنا تستيقظ ذكرياته فيطلب الى الرياح التي
تعصف بسفينته ان تترقب بها ، وفي هذه الظلمة المظلمة
يلوح له طيف الماضي :

هو حب الذين قد ذكروه

وشجاهم بعد الفراق الحزين
ويتجسم هذا الحب ويلزم الشاعر في رحلته المجهولة
الى شاطيء الاعراف ، ويهتف به :
ايها الحب انت للاموت صوت
نؤ غلاب على البلى مستخف

الشخصيات التي تسكنه وفي اخلاقتها ، اذ يرى فيه
معاصريه وسابقيه من الناس وبخاصة من مواطنيه
الذين يعرفهم ، في فضائلهم وذنابلهم . ولذلك نرى
للملحة - رغم طابعها الغيبي - طابعا واقعا يصف
فيه « دانتى » عالم العصور الوسطى . ورسالة
الغفران التي ألفها ابو العلاء المعري المتوفى عام ٤٤٩ هـ
(١٠٥٩ م) كذلك رحلة الى العالم الاخر تخيلها ابو
العلاء في الجنة وفي الموقف وفي النار ، كي يدل - في عالم
خياله - مسائل ومشاكل ضاق بها في عالمه الواقعي من
العقاب والثواب وتناسخ الارواح ، والغفران .. مع
كثير من المسائل الادبية اللغوية ، يوردها مورد الساخر
تارة ، والناقد اللاعوي المتبحر تارة اخرى . وليس العالم
الغبيبي فيها الا قلبا عالميا لا رمزية فيه ، لعب فيه خيال
ابي العلاء دورا فريدا في الادب العربي ، وان كان البحث
العلمي لا يؤيد الشائعة التي يروجها المتقنون بان دانتى
تأثر برسالة ابي العلاء ، ذلك ان علماء الادب المقلان
يؤكدون انه لا يوجد دليل على اطلاع دانتى على رسالة
ابي العلاء . فيرجع استفانوا الدكتور محمد غنيمي
هلال (٧) - عليه رحمة الله - التشابه بين « رسالة »
ابي العلاء و « كوميديا » دانتى الى انها قد انشأها
من حكاية الاسراء والمعراج كما وردت في الاحاديث
الاسلامية غير الموثوق بها وفي هذه الحالة يكون لابي
العلاء فضل الافادة ادبيا من التراث الاسلامي قبل
« دانتى » .

ونحن نرى ان صاحب « شاطيء الاعراف » قد
تأثر بالكوميديا والرسالة من غير شك ، رغم الفارق
الواضح بينهما وبين الاعراف ، الا انه توجد مشابهاة
بينهم ، فقد رأينا ان دانتى كان يصف ما لا يرى وهو
يقرر ذلك من عالمنا في الشخصيات التي تسكنه ، وان
ابا العلاء كان يدل - في عالم خياله - مسائل ومشاكل
ضاق بها في عالمه الواقعي .

وشاطيء الاعراف تصور بشكل واضح الظروف
القاسية التي كان يعيش في ظلها المهشري ، الشاعر
المتفتح الطامح المرحف النفس الجياش العواطف الذي
يواجه في حياته شتى المعارك والعتبات فيخفق في حبه
وفي تعليمه ويظل يحلم بالجد والخلود ولكن الحياة
تضن عليه في مسيرته بما اراد .. ومن هذه العناصر
كلها تتجبع مأساة جيله ، فيحاول ان ينفضها عن نفسه
بالشعر ، ولذلك نحن ان هذه الملحة تتر بالشاعر
على اجحة الخيال من عالم الواقع المريع حتى لنكدنا
نلمس ان لها وظيفة نفسية عند قائلها عندما نقرأ
قوله فيها :

عندما خدر الفناء شكاتي
وسقاني كؤوسه التسيات

انت صنو الحياة وارثة الموت ونور على الاله يرف
وينتبه الشاعر نجاة على ضجيج سنن الموت فرتاع
ويناجي الوقت :

ويك يا وقت اتشد اين ابضي

تائها فوق هاته الامواج
فوق مكسورة الجناح دهنها

عصفاة الجائحات والليل داج
في خضم تدوي العواصف فيه

ناعيبات نور الشمس الساجي
عاصفات عليه تمتنق الموج وتدعو لغمر ما معراج
وهكذا يبضي الشاعر على (فلكه) الكبير يتهادى
خلف سنن الموت يهفو الى الشط ويصارع الاحوال في
سبيل الوصول اليه .. والشاعر يصف لنا كل شيء
في طريقه فهو يرى الليالي بسرعات مثل الظلال ،
وكان الساعات والايام فيها نور الزوال ويناجي الليل
الذي تبوت فيه السنون والاحقاب ، وفجأة يستفيق
الشاعر على نور يغشى الافق فيستمر الالهة عن
ذلك فتخبره انه ركابها قد تخطى اليه المواسف ،
والظلمات وتهادي اليه كحل ذهبي ، لا يبضي له الطريق
وتطلب اليه (الهة الشعر) ان تحمله الى الفردوس :
انت يا شاعري تحببت صبرا

في حياة مخوفة بالزوال
هي رؤيا حلم ويقتله الموت ، وقفر سهاؤه من ال
ثم تقول له : اترى ترتضي اصطحابي الى الجنة مئوي
الشواند الاسراب !

ويصف الشاعر الجنة على لسان الهة الشعر
ويصر على ان يصحبها في رحلتها الى شاطئ الاعراف ،
ويبشيان معا بين هول المنايا ، وفجأة يستمع الشاعر
الى ارغن الموت على فلك الالهة فيهتف :

يا خيالي ! ماذا يطوف بقلبي

يا خيالي ماذا يسارق افني ؟

اي شيء احسس .. اي ديبب

مستكذ .. يهضر السروح مني ؟

الالهة :

انه ارغن الفناء يقني

ويعيد الحياة في مثل لحن

جهوري الموجبات تنفخ فيه

مسمعات ... يفضن من كل فن

ويردد الارغن الحاننا كثيرة تبث ادوار الحياة المختلفة
فهو يمثل لحن الربيع والخريف والشتاء والظلام والنور
والصبا والشيب . وحين يمل الى شاطئ الاعراف ،
يصفه الهشري بقوله :

في انتحاء عن الموالم قاص

حيث يرقى السكون مرقى الفناء

وطيور الفناء تنعب في الموت نعبيا يزيد هول الفناء
غير ان السكون ينهشه نهشا ويهشي الحنى على الضوضاء
سرمدي البقاء يحكم في الموت ويبقى على بقاء البقاء .. !

ويستمر في وصف الشاطئ وصفا دقيقا ، والدوح صاعد
في الفناء يترادى كالاشباح والبرق يومض في ثنايا
الظلال مثل الجراح .. والموج فوقه يركب الموج ويهاجم
شطاطه ويرى السنين تضي بسرعات على التيار
تتلاشى في بعضها ثم تحيا من جديد تمثل الاعمار ،
وهنا يسفر الشاعر عن وجدانه الخاص ويهتف :

ايها الوقت كم اطحنت بعيش

خضل كان وارف الانلال

وبينا الشاعر مستغرق في وصف هذا الجزء من
الشاطئ، تناديه (الهة الشعر) :

ايه شاعري ! كضاك مقابا

ها هنا .. فالفناء جم الضفاف

ليس شط الاعراف هذا ولكن

هو ركن من شاطئ الاعراف

سترى مخبا الليالي وتلقى

بصرع الوقت في جباه الصابي

حيث لا معالم هناك يهدي

لا ، ولا فوقه يصاح لطافي

ويستمر الشاعر في رحلته الى ان يصل حيث تنتهي
الحياة ويسود الصمت ويخيم الفناء ، فيصرخ الشاعر :
ابعدا السكون ! يا حاكم الموت ! وضو الازال والابدات !
كنت قيل الحياة تحكم في الموت ! وها انت حاكم في الممات !
وفي هذه الظلمة المماتية والفناء المخيف لا ينسى الشاعر
مأساة حياته ونشله في حبه فينادي العدم بقوله :

ايها العدم ! اين اسرى حبيبي ؟

ايها العدم ! اين اسرت حياتي ؟!

اين مئوى الضياء ؟ اين اراه ؟

اين مئوى الفناء والاصوات ؟

وهنا ننذكر « بياتريتش Béatrice » حبيبة دانتى
في طفولته والتي بحث عنها مع فرجيل حتى وجدها
في قمة الجنة الارضية واصطحبها في السموات السبع
ذات الكواكب المتحركة . ويصعد معها الى السماء
العاشرة ارفع منطقة تسكنها الارواح الخالدة ، ضياء
خالص « Empyrée » وهناك الارواح في ثيابها
كانها اوراق « الوردة السبوية » الخالدة . ويرى
الشاعر هذه المملكة المساوية مسكونة بالخالدین المؤمنين
الذين يتنقون من النعيم الخالد على قدر ما يطيقون ،
على الرغم من درجاتهم المختلفة ، حتى يفنوا عن انفسهم
في الحب والجمال الخالص . ويصعد دانتى مع حبيبته
« بياتريتش » رمز الحب والجمال الخالص ، ويشغل
عنها بعد ان اوصلته بجبهها المطاهر الى درجات

الاطهار الحبين لله .

وهكذا يلتقي المهرشي مع دانتي في البحث عن
الحبيبة التي حرمها كل منها في نفيه ، ولكن المهرشي

في رحلته يستوقف المدم لينته شكااته :

أيها المدم أين تنمسي في الصمت وتلقي لديه راحة جفك؟

قف ودعني ابشث اليك شسكاتي

والتياسمي مهبهما في انفسك !

ويسفر الشاعر عن لوعته عندما يهتف :

لم اجد في الحياة انفسا تنسمع شكواي او فؤادا حنونا

ولذا قد اتيت اشكوك ما بي

فلقد ترجم الكتيب الحزين

كان لي في الحياة قلب طروب

ينفنى كالطائر الصداح

احرق الحزن منيرش جناحيه واهوى به كسر الجناح!

فتحمل منه اساء وفرقه على ذلك الفضاء شعاعا

قبل ان يقضي الفؤاد ويمضي

حايلا معه في الفناء التباسا

وفي نهاية الملحمة يتخيل الشاعر مغنيا في وادي

الموت يغني الغاتين لحنا صابنا وهو بعينه المغني الذي

كانت موسيقى الوجود تستمد ينابيعها منه وتفرقها

على الربيع والاطيار والمياه والنور ، ويتخيل الشاعر

وقوف المغني صابنا بقتيلارته المحطبة يعزف عليها فلا

تساعفه الاحسان ويناجيه الشاعر :

كان انشادك المبارك «فجرا»

مستهل وفيه نورا الكبرياء

ليت شمري فاين انوي واتيت

قد اقرت الحسان ذي الاغنيات

لهفي ما اراك تبعت لحنا

فاخبر الشعر ما دهى قيتارك

سوءة اليد التي عطلتها

وعفت في غناها اوتارك !

.. وهكذا ..

نرجو ان نكون قد وفقنا الى اختيار نموذج

تطبيقي ، ليكون ردنا محاولة جادة لبحث موضوع

الملحمة في الشعر العربي ، ونحن لانزعم اكثر من القاء

اضواء كاشفة لن يطرق هذا الموضوع ، وفي اعتقادنا

ان ملحمة المهرشي لا تقلل عن غيرها في الشعر الاوربي ،

ولا نقل روعة بالتحديد عن (Prometheus Unbound

للشاعر الانجليزي بيرس بين شيلي ، والتي حاول فيها

ان يكون المبرز المجلي فكان له ما اراد .

عبدالمعز شرف

القاهرة

(١) للكتور سعد الدين الجبازوي .

(٢) مدخل الشاهنامه ص ٢١ .

(٣) من حديث الشعر والنثر .

(٤) انظر : د. محمد غنيمي هلال : الادب القاري ص ١٣٦ وما

بمدها .

(٥) الققاد : راجع ساعات بين الكتب صفحات ١.٥ - ١.٨

وما بمدها .

(٦) مطالعات ص ٢٩٨ .

(٧) الادب القاري ص ٢١٦ .

(٨) نشرت شاطيه الاعراف في مجلة ابولو العدد ٦ المجلد الاول

ص ٦٢٧ فبراير ١٩٢٢

(٩) انظر مقالة لمصليق المهرشي الاستاذ مختار الوكيل في رثائه

بصحيفة نبر الشرق ١٩ يونيه ١٩٢٢ .

خطبة لآل كشم بن صيفي :

وعلى الاعتبار طريق الرشاد ، ومن سلك الجندك ابن
الغار ، ولم يعدم المسود ان يُعْط قلبه ، ويشغل فكره
ويورث غيبته ، ولا يجاوز شُرّه نفسه ، يا بني تميم :
الصبر على جوع العلم اعذب من جني ثمره التمد ، ومن
جعل عرشه دون ماله استهدف للخيم ، وكلم اللسان اتكى
من كلم الحسام ، والكلمة مبرهونة ما لم تنجم من الدم ،
فاذا تجمت نهى سيح كبريت ، او نار تلتهم ، ولكل خافية
بخفت ، وراي الناصح اللييب دليل لا يجوز ، ونفساؤ
الراي في الحرب اتفد من الطعن والضرب .

يا بني تميم ، لا يفوتكم وعظي ، ان فاتمك الدهر
بنفسي ، ان بين حيزومي لبحرا من الكلام لا اجد له مواع
غير اسبابكم ، ولا مزار الاكوليم ، فتلحقوا باسباع
صافية ، وطلوب واعية ، تحبوا مواعيتها ، ان الهوى
يقطن ، والمقل راقد ، والشبهوات مطلقة ، والحزم
معتول ، والنفس مهيلة ، والرؤية مفيدة ، ومن جهة
التواني وترك الروية يثقل الحزم ، ولن يعمم المشاور
يُرشدا ، والمستبد برياه موقوف على بداحض الزلل ،
من سبّح شمع به ومصارع الاباب تحت ظلال الطمع ،
ولو اعتبرت مواع المحن ما وُجعت الا في مغال الكرام ،



هنا بلفك

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

معاشرتهم وانهاء اخباري اليوم .. لما الصديق فله
مكانة اخرى ..

— آلو .. من محمد ؟ آسف هل استطيع محادثته؟
بسرعة من فضلك .. لا تؤاخذني قل له علي ..
ومضت ثوان او لعلها دقائق .. دقائق طويلة ..
هل حدث خلل في الاسلاك التلفزيونية ام لعلني اخطت في
طلب الرقم .. ؟

كم اسبا عريبا او مصريا يتكون من اسم محمد
حتى لو لم يكن محمدا؟ وكم علي في بلدنا ؟ هل اضمح
الساعة مكانها حتى انهي محادثة لم ابدأها بعد .. ؟
كم من مناقشات دارت ببني وبين محمد صادق ..
لقد كان وما زال صديقي العزيز الذي اخترته من بين
عشرات .. كان وما زال رقيقا يتوقع داخل نفسه ..
ولكنه وتوقعته يجذبني دائما لاقتحم التوقعة واخرجه
من داخلها حيث اجد احاديثه الدافئة المخزونة .
كان لا بد ان يجتر احزانه خاصة بعد الخاتمة المروعة
التي شاهدها بعيني راسه .. كان يرافق قريبه الريني

امسك علي بساعة التلفون وقال لاخيه همسا :

— قبل ان يرفع الساعة — :

— اني قلق عليه ..

— بل انت الذي يتناكب القلق فتحدث الي في نفس

اللحظة التي تحاول ان تطلبه فيها .

— اهكذا ؟ عندها نسال الغير ان يخفف من

اشجاننا نتعرض لحيلة نقد من « عيال » ؟

وضحك عصام باستفزاز وهو يقول :

— اتصحك بالتعجيل في انهاء المحادثة التي لم

تبدأها بعد حتى تتجنب تقريع امك فهي — كما نعلم

كلنا — لا بد ان تتمصل بعد الاكل وقبله بالخالة بهية لتحكي

لها مشاكل الخدم وكل ما يختص بالاسر .. سلام .. فلم

يبق علي ميعاد خروجي الا ثوان تهالك نفسك يا علي !!

وامسك علي بالساعة للمرة الثانية وادار القرص

— وحديث يدور في نفسه — ترى ما خلب محمد ..

لقد بدا في الاونة الأخيرة في حالة لا تعلمن .. انه يكاد

يكون صديقي الوحيد .. افراد اسرتي تعودت على

الذي اضطلع بان يد اليه يد المساعدة في اسناد وظلية له .. هو القاهري القح الذي طرقت اقدامه كل مسالك ودروب العاصمة .. كانت خطوات قريبه القروي بطيئة حذرة وفصل بينهما الطريق وسبقته محمد الى الاميرز واثار اليه بيده وهو يواجه ، ان يواصل عبور الشارع .. وتهل وجه القريب الصديق .. وخطا خطوتين ولم ير محمد الخطوة الثالثة بل شاهد الترام يأتي بسرعه العادية المفاجئة ويقطع عليه المنظر الذي ظل ثابتا بضع ساعات فقد اقتلع الترام القريب من اقدامه وحمله بين عجلاته سليم الجسم فاقتا الحياة ..

وتسمرت اقدام محمد .. ولم يجرؤ على سؤال المارة ماذا حدث ولكنه لم يستطع منع اذنه من ان تلتقط بعض الكلمات المتناثرة .. يا ساتر يا رب .. لماذا لم يلتفت الى الناحية الأخرى ..

— شاهدته ينظر ناحية اليمين ..
— بين قضبان الحديد أقل من نصف المتر وتفاجسا يقضيان أخرى .. اي مهندس مغفل الذي خطط هذا الشارع .. ليست هذه اول حادثة ..
— لقد شاهدته يضحك قبل ان .. قبل ان ..
قبل ان اضع السباعه مكانها هل استبر في الاجترار

قصّة
قصيرة
بقلم

هدى جبار



لك .. الا ..

وقاطعه بصوت يجاهد ليقبضه مستيقظا معه :
— لماذا تشغل بالك بي يا علي ..؟ دعني في عالمي .

وقال علي ضجرا :

— انت تعرف .. تعرفني تماما .. لا يهزني الا الشديد القوي .. حسن ، ساعدك في عالمك ولندعني انت ايضا في عالمي .. على اية حال لولا عشرة السنوات الطوال لما كللت نفسي عناء جهد اتصالي بك ..
وضحك محمد وكأته يتتابع ..

— اتسمي اتصالك بي جهدا .. يا لك من صديق .
— صرخ علي :

— خفف قليلا من هذه الحساسية التي كادت ان تودي بك ..

— كادت ؟؟ .. يا لك من مقاتل .. ان السذي يحدثك اشلاء وليست انسانا .

— اذن استدع جزارا ليليلبك في قفة ويصنع منك شورية ياتعة ينقصها ملح كثير .

— شكرا يا علي .. شكرا .. ارجو الا تؤاخذني فانا ذاهب لانام ..

— تعني ان تستأنف نومك .. حسن ، ولا تنس ان تحلم احلاما كلها دماء وجثث وقتلى .. وحرب ..

يا هذا ؟ فحجب شباب في الثلاثين ؟ ولكن ماذا يقول هذا المخلوق .. ما هذه الكلمات المتناثرة ..

— ما زلت احلم بها حدث .. وعنديا استيقظ .. عفا .. عندما احاول الاستيقاظ اسمع ما يؤكد ما رأيته في حلمي .. لماذا لا تدعني انام يا علي ؟ .. على اسوأ

تقدير ستكون هناك وسادة حنون تحتفذن رأسي المنصعد وتنص دموعي الحارقة ويراتب تهددني وتفتني .. لا تكلف نفسك مشقة السؤال عني .. سلام .. سلام .

احتمال وقوع كارثة نفسانية .. غرود ابولو ١٣ لن يصلوا الى القمر .. هكذا تقول الاحداث .. ليس هذا فقط بل ربما لا يعودون الى الارض !!

اترك لا تزال تحلم يا محمد بين الوسائل «الطرية» والحشيات مرتفعة الانطمان من يد منجدين مهرة ..؟

يقولون ان الاوكسجين الكافي لارواد الفضاء ربما يكتبهم بضع ساعات ، من يدري مداها واحتمال وقوع خلل مفاجيء اصبح رهن اليقين .. انهم لا يبالغون برقم ١٣

ويح ذلك ينتظرون حدوث كارثة .. لكنها لم تحدث وربما لن تحدث اطلاقا ..

وهناك امل .. بل امال نعيش بها وربما نخلفها اختلاقا ..

وما الذي يؤلني .. عقلية انسان يعيش ولا يعيش ما الذي يبريطني به ؟ لا شيء .. لا شيء الا الإنسانية

فكريات محمد في نفس اللحظة التي اطلبه فيها ..

— صباح الخير ..

جاءت كلمته بهالكة متناومة .. لا بد انه لم يفق

بعد من تأثير الاقتراس المنومة .

— ارجو ان تكون انت الذي اصطبغ بالخير ..

فانا علي لا تعرفني ؟

واتاه صوت محمد :

— اعرفك ؟ .. وهل عرفت انا نفسي ؟

وتمزق قلب علي :

— اما زلت كمهدي بك ؟ ألم تثر احاديثي معك ؟
اتريدي الا اذهب الى عملي لامر عليك واعاود تأنيبي

وحدها .. الانسانية ؟؟

الزوج ينهال على زوجته طمعا بالسكين لانها
تأخرت في صنع الشاي !!

وصبي يطعن زميله والسبب .. تعريفة !!

ومع ذلك .. لا بد ان اذهب اليه فالوقت الان ليس
وقت النوم .. سالتهم عليه داره واوقظه منوة سواء
رضي أم لم يرض .. من يدري ربما خلقتي الله كي اوقظه؟
تباها كما كانت زيارة الشاب القروي الى العاصمة
وتخلفه عن الركب وتخله في سرعة العبور كي يلحق
بمحمد الذي سبقه و اشار اليه .. كل ذلك كان سببا في
موت القروي وتوقع محمد !!

هناك من فتح لملي الباب ..

لم تكن هناك أهمية أو ما يدعو للتعرف عليه ..
المم .. الدافع الذي بعث به ان يرى محمدا أولا وبعد
ذلك تبدأ عملية الإيقاظ ..

كانت الوسادة تحفضنه .. وجد علي نفسه مع
محمد في الحجرة وغوص مخفوق وسط الحشيات يرسم
جسد محمد ذا الانتفاضات وبعض البروزات العظمية ..
وخرج كائن من السرير يدعى محمد رغبا عن ان
محمدا ما زال نائما .. قال لملي بنبرة ساخرة يعرفها
علي تباها :

— تعرفني يا علي بهذه الشخصية .. منذ ان
تعارفنا حتى اليوم .. لم تحاول تغييرني ؟؟ لقد رضيت
ببي كما انا .. لست اها كي تحولني حبيباً يترأى لك
.. تباها كما عرفتك انا تتظاهر بالجلد والقوة .. القوة
على الاحتمال .. اعرف ان عينيك الان تبتقان سخفا
واعترافا ولكن دمعي اثم كلامي .. ليس هذا فقط بل
سأثوب عنك في تعليقاتك .. اتسيت اننا اصبحنا شخصا
واحدا متفردا .. كل منا رأى الآخر من باطنه .. لا تقول
ان الحادثة اودت ببي وانني احاول التناوب ثم انام بالفعل
.. وانك ترى كل شيء بعينيك المتيقظتين وتواجه الحقيقة
بكل نغواتها .. حسن ..

اعلم يا صديقي انك اكثر ضعفا مني .. داخليا
طبعاً .. فخطيبتك التي تخلت عنك من اجل اخر عابر
طريق طرق باب اسرتها ولوح لهم بسيارة فارغة سدت
بطولها ابواب ثلاث اسر من الجيران .. وابضم ابتسامة
الواقع من نفسه .. وتم كل شيء في ثوان .. جسات
اليك ترغل في ثياب ادعت انها صنعت من لؤلؤ دبوها
مع ان ثوبها كان ثوب الفرح كتكت اراك تذوي يوما بعد
يوم واسالك فتقول : احمد الله اني علمت حقيقتها قبل
ان تصل الفأس الى الراس ..

اها انا فلم اختر حبيبة لانني لم اكن — وما زلت —
لم اختر نفسي كما اريد .. وفي استغراقي في احلامي ربما

احصل على الحقيقة في حلم مجسم ، اما ان احيا وسط
هؤلاء القتلة منهم من يشيد قضباناً تحمل نوتها قطارات
لتنسبل الموصلات وتنتج ابشاً في صنع ثوابيت لشهداء
الشوارع والازقة .. لا يا عزيزي .. دعني امعيش في
عالم النوراني .. الذي صنفته في اجل صورة وعنفا
يكتل حلمي بشخصه التي تستعديني وأرضيته التي
تنبت زرعاً اصيلاً غير مستورد وأناس راحوا لكهم
يعيشون معي .. عند ذلك فقط ساستيقظ واواجه كل
شيء غارفض علانية كل ما لا يلائمني واحدد ما اريده
بالضبط !!

ولميك علي بحرف السرير واقترب يتحقق من
صدق رؤياه لكن محمداً كان مستغرقاً في نومه والوسادة
ما زالت تحفضنه .. يا له من عالم .. لكن من اين انت
هذه الكلمات هل يوقظه ؟ لقد جاء خصيصاً من اجل
ذلك .. ترك عمله وناسه ووقته وقدم اعصابه التي
يتظاهر بقماسها تباها كما صورها محمد .. فهو يخفي
انومه بين ضلوعه ويلتزم الصمت ويرنو بنظرة جادة
ولا احد يسمع حديثه الداخلي المحرق ، لقد كاشفه محمد
في يوم قبل ان تقع له هذه الحادثة المروعة .. حادثة
الترام ..

قال له علي — انت صديقي العزيز الوحيد ..
.. ابترسم محمد — اعرف ذلك ..

ولانت ثبرات علي ، لا تشدد في معرفة وتفسير
افئالي لك .. فانا اكرر دائماً بانك متوكل حالم واسعد
لحظائك هي التي تتركب من الموت .. الم تقل ذلك مرارا
وما زلت تقوله ؟

حسن .. حسن .. بالنسبة لي .. بالنسبة لي ..
وتردد علي ثم اطبق عليها صمت قصير مكتف ..
قطعه محمد قاتلاً في انسياب :

— اعرفك تباها يا علي كما تعرفني وربما اكثر ..
فانا اكثر بوحاً منك واكثر مواجهة نفسي بضعني الذي
لا اخفيه بل اعلمه اياك دائماً كانه سبة ثابتة من سباتي
.. اما انت فداخلك يخفي الكثير وقسوتك البادية فتنازع
يحجب أشياء تحرس على اخفائها .. لقد شاهدت
ومك كتاب بالانكليزية في علم الكف .. لسأذا يقتلص
وجهك ؟ الانني واجهتك بالحقيقة ؟

اذن فهي حقيقة وهو ما كنت ابحت عنه تباها كما
تدعي بانك تريد الفوص في نفسك التي تكفلت انا بها
وارحتك منها ..

دعنا من ذلك كله .. لقد اعلنت مؤخراً عن فشلك
في اقتلاع بذور الثلثك من نفسك واردت في نفس الوقت
ان تخدعنا .. لماذا تحلق في هكذا ؟ هل سترجع مرة
اخرى الى حالات غضب واكتئاب ..؟ دعك منها الان

هات كفك



وقالت أيضا : بشاعرك تخفيها بين اضلمك لماذا ؟
لقد طارت بك المصفورة ..
عند ذلك قفزت من كرسيك محتجا وقلت في ثورة
يا لك من كاذبة ..
لكن اصحاب علم الفراسة يتتبعون بذكاء وقوة
اعصاب فالغت عليك سؤالا بهدوء وروية :
— لماذا جئت اذن ؟
وكانت صادقة ..

كانت صادقة حقا فعندما جلست في ثوان ومددت
اليها يدك اليمنى واليسرى على التوالي وخرجنا معا ..
كنت كمرآة تحلق في حب وحرية ففسد منك المرأة
بمساعدة غابرة ستعوضك عما فاتك من فشل ..
كلانا فشل يا علي .. لكن كل منا قام بدوره ..
اختلفت لنفسك املا وانت متيقظ ..
واختلفت لنفسي حلما وانا نائم ..
دعني انام يا علي .. بالله عليك .. دعني انام ..
وصحا علي على ترع على الباب .. كان هنالك
خادم يحمل صينية عليها فنجال قهوة ساخن ..
— تفضل يا سيدي ..

وارتعد علي وأشار الى محمد قائلا :
— اليس هو اولى بها مني .. لربما تساعده على
الاستيقاظ ! ..
وجاء صوت الخادم :

— لهذا السبب بالتحديد لا أستطيع ان اقدمها له .
— لماذا ؟
— سينام نوما طويلا .. لقد كانت هذه تعليماته .
— ومن الذي سيعمل على ايقاظه ؟
— لا أحد ..
— كيف ؟

— هو الذي سيقوم من نومه وقتما يشاء ..
— لقد جئت خصيصا لإيقاظه ..
— لقد ترك لك رسالة يا سيدي ..
— أين هي ؟ يا هي ؟
قال له الخادم وهو يضع بجانبه فنجال القهوة :
— لقد كلمني بان اتول لك .. دعه ينام ولا تحاول
ايقاظه ابدا ..

وقبل ان يترك الخادم الحجرة تردد في حياء وقال
في نبرات خافتة :

— نسيت ان اقول لك يا سيدي .. لقد قال لي
شيئا آخر .. بعد ان تحضني فنجال القهوة اعمل على
ان يقره لك أحد قراء الطالع .. نهار سعيد يا سيدي ..
وهنيئا مقبلا !!

القاهرة — هدى جاد

ولنؤجلها لما بعد حديثي الذي ربما يطول ..
أردت ان تطلع على الغيب .. وفي نفس الوقت
تيسمت في واردة ان توحى الي وتوهمني بانني في
احتياج لمعرفة ما يخفيه لي الغيب كي اقلل من سمات
نومي .. خاصة بعد تلك الحادثة المروعة ..
وذعينا معا .. الى تلك الازمة او العائس لست
ادري ورمقنا معا وقالت لي ببسمة حنون :
— اتريد ان تطمين على مستقبلك ؟

وفرحت أنت يا علي .. فرحت لأن طرحها
السؤال علي كان معناه أنني أنا الذي أعاني لا أنت
هكذا يقولون .. عليك مسحة من حزن ساخر ..
ما علينا انسمع ايتسايمك حتى كادت ان تصل بين اذنيك
فاذا بها تقول فجأة .. انسييت انها على علم بالفراسة ؟
— هات .. كفك يا سيد ..

وروعت أنت يا علي .. فحتى تلك اللحظة كنت
أنا الفريسة الضعيفة التي في احتياج لأن تمتد اليها
يد .. أي يد ..

ولكنك في ثوان مددت لها يدك كطلل يائس حزين
.. وقالت لك وهي تنقرس غيك :
— انفعلائك جوانية !!

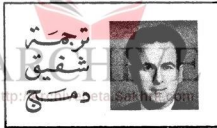
وكانت صادقة ..

مظاهر الحضارات الهندية الكبرى في امريكا الوسطى والجنوبية بما حدا بالعلماء الاميركان الى ايهال نظرية « مونرو » لما قبل التاريخ والقتالة بان آباء الاميركان الاصليين قد اكتسبوا ثقافتهم دون تأثيرات العالم القديم لان هؤلاء الابهاء الاقدمين عبروا الجسر بين اسيا واميركا ، وهو الجسر الذي دعي في سالف العصر بمضيق بهرنغ (٢) .

اما بعثة هيردال النرويجية الى خليج كون تيكي فانها لفتت الانتباه عام ١٩٤٧ الى نظرية اخرى تقول ان الاميركان قد جاءوا بطريق الجنوب وليس بطريق الشمال وذلك بالبحار من الجنوب الشرقي من اسيا الى امريكا الجنوبية . ولقد برهن هيردال على انه بالامكان اجتياز المحيط الهادي بالزوارق ، غير انه ليس هناك ما يدل على ان اسويوي ما قبل التاريخ قد قابوا بلك الرحلة التي قام بها هيردال مؤخرًا مبحرا من كالوا وبيرو الى جزر تويامو ذهابا وايابا . وقد ظل علماء الاجناس الاميركان حتى عام ١٩٢٥ يعتقدون ان الهجرة الاسيوية عن طريق مضيق بهرنغ لم تكن لتم الا في عهد قريب نسبيا . ولقد كان واضحا في ذلك الحين ان الحضارات الكبرى لتقابل مايا اس او ازتيك او اينكا باميركا الوسطى والمكسيك والبيرو وغيرها ، لم يعظم شأنها الا بعد الميلاذ بوقت طويل وان العلماء يجعلون مجيء الانسان الى امريكا في ما يقارب الالف سنة قبل الميلاذ لكن هذه النظرية ايضا قد داعت تهما امام اكتشاف عداة غريبة كان يمارسها الاميركي منذ عشرة الاف سنة ، وذلك انه كان يترك نصل سلاحه في جسم ما يصطاد من الحيوانات . وهذا المواطن القديم اصبح مشهورا اليوم في امريكا باسم علي هو « انسان فولسوم » . وفولسوم اسم لكان قرب مدينة صغيرة في مكسيكو الجديدة مثر فيه عام ١٩٦٦ على اسنة حراب صوتانية

انسان فولسوم

أحد الأسرار الأثرية في الولايات المتحدة الأميركية



بقلم
روجيه ده لورم

الانسان الى القارة الاميركية متطورا على شكله الحالي اما ما وجد في امريكا من بقايا الانسان فهي تخص الجنس الهومي المقدس كما تخص الانسان المعاصر .

هذا وان استيطان الانسان للقارة الاميركية في فترة تاريخية متأخرة يدعونا للتساؤل : من اين جاء المهاجرون الاوائل ؟ والواقع ان علماء الاجناس الاميركان يتعاونون اليوم لمعرفة الاصل الاسيوي للهنود الاميركيين لاسيما ذوي البشرة الحمراء في الجنوب فخصائص هؤلاء مونغولية واضحة لاعين المتدنيين البسطاء ، ولقد كشف النقاب عن التأثيرات الاسيوية العديدة من خلال

لئن كان معروفا ان امريكا كانت تمثل العالم الجديد تاريخيا ، فان هناك حقيقة يجهلها كثيرون ، وهي انها كانت كذلك الامر تمثل القارة الجديدة بالنسبة لما قبل التاريخ . فقد كانت امريكا بلدا سباحيا منذ بدء حركة الاستيطان فيها حتى اليوم . والانسان نفسه ، خلال فترة ما قبل التاريخ ، كان يعتبر الوائد الجديد الى القارة الجديدة ، اذ انه لم يعثر قط على عظام « الانسان القرد » ولا عظام ما هو بين القرد والانسان . كما لم يقف علماء الآثار على ما يشير الى انواع القردة الكبيرة كالفوريل واوران اوتان والشابانزي التي تعتبر اقرب الحيوانات شهبابا للانسان ، فلتدوصل

يطلق عليها الاثريون بالولايات المتحدة اسم « نصال فولسوم » . وجلية ذلك انه في ذلك العام ، عام ١٩٢٦ ، كانت جامعة من العلماء في متاحف التاريخ الطبيعي في مدينتي دانفر وكولورادو تنقب في طبقة من الارض قريبة من ريسوسبارون بالقرب من فولسوم ، ولم يكن ما عثرت عليه بقايا الانسان الامريكي الاول بل بقايا حيوان ضخم اشقر اللون انتحرض منذ حوالي عشرة الاف سنة ، كما انها وجدت بين العظام المطبورة لذلك الحيوان العائدة الى العهد الجليدي ، عددا من النصال الدقيقة هي بلا ريب من صنع الانسان ، ويعبرها كثير من العلماء النصال الاكثر تكاملا والتي لا مثيل لها في عهد الحجر المخوت . واذا استعرضنا الطريقة التي كان يتبعها انسان فولسوم في اصطياد الحيوانات الكبيرة فمن غير الممكن معرفة السبب في ترك ذلك المصايد النصال في اجسام ضحاياه من الحيوانات وهي النصال التي طالما اجدت نفسه وانفق وقته في صنعها ، وهو منفصلا عن ذلك كان يترك النصال في جسم الحيوان بعد تقطيعه في حين انه كان باستطاعته العودة الى استعمالها مرارا . ويعتقد بعض علماء السلالات ان في الامر مظهرا من مظاهر السحر او التوهم . ومن الجائز ان المصايد كان يقوم بذلك احسانا الى روح الحيوان المقتول من اجل تهنئتها . ان مثل هذه الطقوس الدينية العديدة لايزال يمارسها صيادو قبائل بدائية عديدة معاصرة . ويمكن لنصلة ادت الى مقتل حيوان اثناء الصيد ان تصبح مقدسة . غير ان هذا كله لا يعدو كونه اوهاما وتخيلات .

ومما لا شك فيه ان انسان فولسوم قد تدرج في صنع نصاله واتقانها بعد سلسلة من المحاولات والتجارب ، لكن الاثريين لم يعثروا على دلائل تؤيد ذلك التدرج . فقد ظهرت النصلة في شكلها المتكامل والنهائي .

وتدل الحفريات الاخيرة على ان مواطن انسان فولسوم تهدد من الاتهام الكندي في اكيرتا حتى جنوب تكساس وتنتج شرقا الى ما وراء فرجينيا وجيورجيا ولكن يبدو ان اهم وسط حضاري لانسان فولسوم هو البلاد التي تعرف اليوم بالمكسيك الجديدة والكولورادو . فلماذا كان ذلك الانسان يضي وقتا طويلا في اتقان صناعته حتى يصل الى ذلك المستوى العالي ثم هو لا يملك النية للعودة الى استعمالها كما لا يعود الصياد المعاصر الى استعمال خرطوطه الفارغ ؟ ولماذا صنع تلك النصال على شكل واحد لم يتبدل خلال الف سنة او اكثر ؟

ولسبب مجهول لم يعثر الاثريون في مداخل الحيوان الكبيرة على سن واحدة لذلك المصايد القوي الذي قتلها والذي يمكن ان يكون قد خر صريحا ابهاما ، عليا بان السن هي من الناحية التشريحية من اشده الاعضاء ، مقاومة للفتت . ويرى بعض العلماء في اختفاء انسان فولسوم دلالة على بعض التغيرات وعاداته . فهم يرون انه كان كليا بلغ الاربعين من العمر ، يتضائل نفعه لابناء عشرته فذهب في القفار معرضا نفسه للحيوانات المفترسة . ولا يزال هذا الاسلوب من الانتحار الهادف معروفا لدى قبائل مازايس ، كباين ، وبعض قبائل الاسكيو البدائية . لكن الاثريين لم يعثروا على عظام قبائل المازايس ، وذلك لان الضباع تنعقب الاسود وتحطم هيكلها العظمية . وهذا ما كان يحدث لانسان فولسوم في العهد الجليدي او الجيولوجي الرابع حيث كانت تنعجه الحيوانات المفترسة آكلة العظام .

اما عادات ذلك الانسان فقد عرف الاثريون الامريكان كثيرا منها بعد ان اكتشفوا مواطنه في منحنيات سلسلة الجبال الصخرية . فذكروا كيف كان ذلك الانسان يحصل على صيده ويسلخه ويقصبه ، وكيف كان

يصنع اسلحته ويصطاد . وبفضل الاساليب الحديثة المتبعة لتحديد الحقب التاريخية ، كدراسة طبقات الارض والصخور والتحليل العضوي بالاشعة لمظلم الحيوانات في مراكز استيطانها ، استطاع علماء الآثار تحديد الحقب التاريخية التي عاش خلالها ذلك الانسان . وبات محققا ان انسان فولسوم - وهو يشكل مع افراد عشرته احدى المجموعات المفترسة آكلة اللحوم - كان ضمن الجثة قويا ، ذلك لان الفترة القريبة من العصر الجليدي تبرز تطور جسم الانسان نحو الضخامة الزائدة . وهو في ذلك شبيه بالانسان الاوروبي القديم الذي طالما قاوم طبيعة القارة الأوروبية القاسية .

ولم يكن انسان فولسوم اقدم واقد على الارض الامريكية لكنه كان اول من انشأ شمالي القارة حضارة ما قبل التاريخ . وقد وجد الاثريون انه من المحتمل ان يكون له جدود واحفاد ، ولكنهم لم يستطيعوا ان يبرهنوا على صلة انسان فولسوم باقوام ما قبل التاريخ ، او بانسان القبائل الهندية في العصور الحديثة او العصور التي سبقت « كريستوفر كولومبس » . غير ان اسلحة جديدة اكتشفت بين اعوام ١٩٢٠ - ١٩٢٥ قرب كولومبس في مكسيكو الجديدة تعود الى ثلاثة عشر الف سنة ، شبيهة بأسلحة فولسوم ، لكنها تفوقها حجبا ووزنا . ولقد عثر عليها بين عظام فيلة كبيرة الحجم كثيفة الصفوف ولا مثيل لها في اسيا . ويبدو ان صانع هذه الاسلحة ويدعى « انسان كولومبس » كان يؤثر لحوم الفيلة على لحوم البقر الوحشي المصنف لدى انسان فولسوم . كما ان احد اساتذة السلالات في جامعة مكسيكو الجديدة عثر عام ١٩٤١ ، في ارض احدى مغاور جبال ساندبا الى الشرق من البورك بمكسيكو الجديدة ، على عظام حيوانات قديمة

وثلاث دزينات من النصال الصوانية تفوق نصال كلوفيس حجا . وبعد دراسة طبقات الحفر الكهفية تبين لديه ان بقايا « انسان ساندنيا » في المكسيك الجديدة تعود الى عشرين او خمسة وعشرين الف سنة . وبالتالي فان امريكا عريقة في التاريخ وان انسان ساندنيا اجدد من اي انسان اخر بان يحمل اسم الامريكي الاول . وبالرغم من كل ذلك فان هذه التسمية لاتزال تنقتر الى دليل ثابت واكيد . ولقد اكتشفت لأول مرة في مقاطعة الكولورادو نصال من الحجر دعيت « نصال يوما » وهي من صنع انسان عاصر نولسوم ويدعى « انسان يوما » ، وتماثل تلك النصال عن نصال نولسوم طولاً وفتحاً وزخرفة وتعود الى العصر النيوليتي . اما انسان يوما فقد كان هو ايضا صيادا ماهرا تدل عليه اسلحته وبقاياه الحيوانات التي كان يصطادها . كالحصان الامريكي والجمال ، وقد انقرضت منذ عهد بعيد .

اما تاريخ الحصان فانه يداعب بخاصة عواطف الاميركان اصقفاء الحصان اللويناء . ولقد اجمع الاثريون في امريكا على ان الحصان وجد في البدء على الارض الامريكية بيننا تباينت آراؤهم بالنسبة لوجود الانسان هناك . فهم يرون ان الحصان الامريكي قد هاجر الى امريكا مارا فوق جسر بهرنغ قبل ان يتقترض في موطنه الاصلي ، ثم التقى على دربه الطويل بالاسبويين النازحين الذين دعوا بالهنود الحمر فيما بعد . والحقبة ان الحصان تكثر في بطاح اسيا الوسطى مارا بشبه الجزيرة العربية فاسبانيا حيث صحبه الانسان الى امريكا موطن الهنود الحمر في أقصى الغرب . فاستغرق تجسوله حول العالم عشرات الالوف من السنين هذا ما يترأى لاكثر علماء الحيوان غير الاميركان — فليس من الصواب في شيء ان يقال بان الحصان الامريكي قد ظهر في البدء على الارض

الامريكية كما يدعى العلماء الاميركان . ولكن هذا لا يحول دون احتمال انتقال الحصان من بطاح اسيا الى ما وراء مضيق بهرنغ حيث الكلا والخضرة ابدا !

وهكذا يظل هذا المضيق مصدرا لكثير من الالغاز والاحاجي : فعليه عبر الامريكي القديم باتجاه الجنوب الأقصى من القارة في عهد متأخر . ومنذ حوالي سبعة الاف سنة كان ذلك الامريكي في ارض النار ، في باتاغونيا ببلاد الشيلي المعروفة ، يصطاد الحصان ليأكل لحبه . هذا ما تبينه العلماء بطريقة التحليل بالاشعة لبقايا العظام وللحوم المختلطة بالزباد في كهف قرب خليج بالي ايكه احد المراكز الهامة لدراسة التاريخ القديم . ومثل « انسان ايكه » كمثل عاصريه في امريكا الشمالية ، فهو لم يترك لامتعة الخاصة من بعده اثرا .

وعلى ضفاف البحيرة التي تشغل القسم الاكبر من وادي المكسيك وفي عهد متأخر ايضا ، كان انسان ما قبل التاريخ يصطاد الثيلا منذ عشرة الابنية ، وبالقرب من قرية تيكسكان ، شمالي المكسيك الحديثة ، وجدت بقايا فيلة وسكاكين كثيرة ونصال من الصوان ، كما عثر على عظام انسان من العهد الجليدي تحفظ بميزات عظام هنود المكسيك الحاليين .

وعلى الطرف الاخر من سلم الزمن ، اي في العهود الحديثة ، فان حقبة تاريخية طويلة لاتزال تتصل بين انسان فولسوم ، الذي يمثل اخر مرحلة من مراحل ما قبل التاريخ الامريكي والهنود الاوائل الذين يمثلون اول فترة من التاريخ الامريكي وتعتبر حضارة « موند بولدرز » اعرق الحضارات الهندية الكبرى في امريكا الشمالية وقد ازدهرت هذه الحضارة منذ ثلاثة الاف سنة على الاكثر . وهكذا تبين ان بين زوال حضارة انسان فولسوم ، التي لم تدم اكثر من الف سنة فيها قبل التاريخ ،

وحضارة « موند بولدرز » الهندية بامريكا الشمالية حلقة مفقودة في تاريخ امريكا القديم .

ويرى كثير من علماء السلالات في الولايات المتحدة الامريكية ان امريكا الشمالية كانت مأهولة بجحاسات صغيرة من البدو تمتد على الصيد ، بلغ بعضها تسطا من الحضارة ذلك انه كان يجمع الحبوب البرية ويطحنها مما مهد لحضارة المحراث فيما بعد . واذن فعكسا كثر الحلقات المفقودة في تاريخ سكان امريكا الاقدمين يعتمد الباحثون الى الدرس والاكتشاف . واذا كان العلماء في امريكا لم يستهوه علم الآثار القديمة حتى فترة متأخرة ، فانهم منصرفون اليه اليوم باهتمام بالغ مزودين بقدرات مادية كبيرة .

وبعد هذا كله ، فان رجال الاختصاص في الولايات المتحدة يرون اليوم ان سكان اسيا توافدوا الى امريكا بطريق مضيق بهرنغ منذ ثلاثين الف سنة . ومن جهة ثانية وبدافع الحماسة الوطنية ، يرجع علماء الآثار بالولايات المتحدة تاريخ اول مواطن امريكي الى مئة الف سنة ، مستندين في ذلك على ما اكتشف حديثا وهو عبارة عن أدوات حجرية بحجم قبضة اليد مصنوعة من حصى البحر ومشطوبة من احد طرفيها ، وتعتبر اقدم نموذج بدائي للانسان القديم . والى جانب ذلك ، فقد عثر في اسيا واوروبا على أدوات حجرية مشابهة صنعها انسان ما قبل التاريخ بدون ريب .

ولكن هذا لا يعني مطلقا ان ما وجد في امريكا يعود الى مثل ذلك الزمان ، فكثيرا ما تتشابه الصناعات وتتطور رغم فوارق الزمان والمكان والظروف !

برجا (لبنان) — شفيق دمج

- (١) نولسوم : مركز شقبي عن النار في مكسيكو الجديدة .
- (٢) بهرنغ : في القسم الشمالي من المحيط الهادي بين امريكا واسيا .

الرواسب القديمة



فن المسرح المصري المعاصر

تتم المنشور في العدد ٥٥ " من المجلة "

عن ترجمة كلمات النص المجردة الى حركات الممرض
المجسدة .. وقد ينفذ ويتطور بحيث يتحول الى عملية
خلق فني من الطراز الاول .. ولكنه مع ذلك يظل تابعا
للنص اولا واخيرا قبل ان يكون منتقيا الى مدرسة معينة
في الاخراج .. ولعل الاتجاهات التي اسسها
ستانسلافسكي في روسيا وجوردون كريك في انجلترا
وكوبو في فرنسا وبريخت في ألمانيا تعود الى روح

عقد الاخراج
ولم يفلت الاخراج المسرحي من عقدة النفسانية
الخاصة به .. لان معظم المخرجين قد تلقوا تعليمهم
بالخارج ما بين باريس وروما وبرلين وبودابست
وموسكو وقد بهرتهم اساليب الاخراج التي اطلعوا
عليها وشاهدوها اثناء دراساتهم فجاءوا الى مصر وفي
نيتهم تطبيقها دون اختيار لروح النصوص التي
سيماجونها .. فالخراج في ابسط مظاهره هو عبارة

النصوص التي عالجوها .. هكذا فعل ستانيسلافسكي مع تشيكوف وغيره من معاصريه وكريج مع برنارد شو ونفس الوضع بالنسبة لكوبو وبريخت وغيرهم من مخرجي المسرح العالمي .. ولعل التقنيات والمعايير التي خرج بها ستانيسلافسكي مثلاً في كتبه عن الإخراج من أمثال « فن الممثل » و « حيانتي في الفن » كانت حصيلة خبراته الفنية في إخراجها لآعمال معاصريه .. ولو أن ستانيسلافسكي هذا كان فرنسياً ومعالج أعمال كتاب فرنسيين من عصر آخر فلا شك أن مدرسته في الإخراج ستكون قائمة على أسس مختلفة تماماً الاختلاف .. ومن هذا نستنتج أن النص الدرامي يتحكم فيه عنصران : الأول عنصر الزمان والثاني عنصر المكان .. وبالتالي فإن توعية الإخراج تتبع نفس العنصرين مما يتعذر العثور على اتجاهات جاهزة للإخراج يمكن تطبيقها بطريقة آلية على مختلف النصوص ..

ولعل هذا هو السبب في أننا لا نص بوجدود مدرسة متكاملة للإخراج في مصر .. لأن المخرجين مازالوا تحت وطأة الاتجاهات الخارجية وكل يحاول كل ما يحلو له من تجريب وتجريد واغراب ... لدرجة أن النقاد تعودوا مناقشة أسلوب الإخراج وكأنه عنصر منفصل عن النص .. ونحن لا نقيد المخرج بتأجيل معين لأن له مطلق الحرية في الاختيار والاستعانة بمختلف الاتجاهات .. وربما استطاع أن يصل إلى اتجاه جديد من خلال تطعيم الاتجاهات بعضها ببعض .. كل هذا ممكن ولكن بشرط أن يضع نفسه في خفية النص سواء اتبع في ذلك مدرسة ستانيسلافسكي أو كريج أو كوبو أو بريخت أو باسكاتور أو غيرهم من المخرجين العالميين .. وربما أوحى إليه النص بأسلوب جديد في الإخراج لا ينتمي إلى كل هؤلاء .. ومن هنا كانت ضرورة التعاون المتبادل والتجاوب المشترك بين المؤلف والمخرج .. وليطرح كل منهما عقده الشخصية جانباً من أجل العمل الفني نفسه. لأن شكوى المؤلفين من تعدد المخرجين على أنفسهم زادت إلى حد كبير في الآونة الأخيرة وصارت معارك بين الفريقين .. فالمؤلف يقول إنه صاحب الحق الأول والآخر في الأسلوب الذي يخرج به عمله إلى الجمهور بحكم تهمته إياه .. والمخرج يقول أن المؤلف بذلك يتعدى على مجال تخصصه وهو أدري به وليس للمؤلف الحق في إبداء الرأي في أسلوب الإخراج .. وكانت النصوص هي ضحية هذه المعارك التي تنتهي إلى العصر الجاهلي ..

عقده التجم الأول

وقضية الممثل أو الممثلة لها دور أيضاً في العقده النفسية التي يعاني منها المسرح العربي المعاصر .. لأن المخرجين ما زالوا يعتمدون في نجاح عروضهم على

النجوم المشهورين ذوي الاسماء الرنانة ظناً منهم أن الجمهور لن يقبل على أعمالهم المعروضة إلا بمجرد مشاهدة نجومه المفضلين .. وتكون النتيجة أن تتخلف المسارح المختلفة هؤلاء النجوم مما يضاعف الضغط على أعصابهم فيهيبط مستوى أدائهم بسبب الإرهاق والجري وراء الكسب المادي من الأدوار الثمينة التي يستندونها اليهم في أفلام السينما ومسلسلات التلفزيون وتليفات الأذاعة .. وبالفضل تساقط كثير من نجوم الصف الأول .. ومع ذلك لا يحاول المخرجون مساعدة ممثلي الصف الثاني على التقدم إلى مراكز الصدارة .. مع أن هناك محاولة رائدة قام بها المخرج عبد الرحيم الزرقاني عندما أخرج مسرحية الفريد فرج « سليلان الحلبي » عام ١٩٦٦ وأسند دور البطولة إلى محمود الحديدي وكان من ممثلي الصف الثاني .. ونجح بالفعل في القيام بدور سليلان الحلبي وربما بطريقة أفضل مما لو أسند الدور إلى أحد نجوم الصف الأول المرهقين بالفعل المستمر والمتخمين بالأدوار المختلفة .. وكذلك الحال بالنسبة للمخرج اليوناني موزينيس عندما أخرج « حمامات القرايين » واعتمد فيها على كل ممثلي الصف الثاني .. ومع ذلك كانت من أنتاج العروض المسرحية التي أخرجت في السنوات العشر الأخيرة .. ومن الواضح أن المخرج الذي يعتمد على النجوم دائماً في إخراجها لا يتميز بالثقة في أسلوبه وفنه .. لأن الممثل ليس سوى أداة طيعة في يده وعليه هو أن يشكك طبعاً للدور الذي يقوم به .. أما النجم فيجب أن يبدو في المظهر الذي عود عليه الجمهور ولذلك يغلب على أدائه القوالب والكليشيهات المسادة والمتكررة بصرف النظر عن طبيعة الدور الذي يقوم به .. ولا شك أن عقدة النجم الأول قد وصلت إليها من مسارح الدول الرأسمالية التي تهتم بالربح المادي وتحرص على أن يشاهد الجمهور نجمه في دوره المفضل حتى يضمن شباك التذاكر إيرادات ثابتاً .. كل هذا بالطبع على حساب الممثل المسرحي نفسه ..

هناك أيضاً عقدة سخرية ارتبطت ببعض ممثليها .. وهم للآسف ينفخون بها من حين لآخر .. وعادة ما تجدهم يقولون : « وبعد خمس دقائق من ظهوري على المنصة سترت النظر من كل الممثلين .. » ومعنى ذلك أن مثل هذا الممثل يحاول لفت نظر الجمهور عن طريق المبالغة في الأداء والتطرف في الحركات والارتفاع بالصوت وإبراز التشنجات والأعات إذا كانت مناسبة والتلاعب في الألفاظ من حيث مطاها وتطويلها أو مضغها وبلغها إذا كانت ملهة .. وهذا النوع من الممثلين لا يدرك أن هناك ما يسمى بهارمونية المشهد وتوازنه وأن كسل شخصية على المنصة لها دورها الرسوم والمحدد داخل النص .. وأن سرقة النظر من باقي الممثلين تعد

الدخان من حلقه واتفه حتى تضاعف سحبات الدخان من استنفاعه بالعرض المسرحي .. وليس من المستبعد ان تجد متفرجا آخر يثار بهمة لا تعرف الكلال على التعليق بصوت عال على احداث العرض المسرحي او شرحها لجاره المشكين الذي لا يستطيع اسكاته بينما انهمك متفرجون آخرون في تناول قطع الجاتوه وساندويتشات الجبن والكبد والمخ والفول والطعمية التي احضرها معهم خصيصا قبل دخول المسرح .. ولنا ان ننصور خيبة اهل المثلين بسبب هذا الوضع المؤسف الذي غالبا ما يهبط بمستوى ادائهم .. وهناك طريقتان للتخلص من هذا الوضع الاول من طريق الانعناع والاعلام والتنوعية بقداسة المسرح وحرمة ولا شك ان هناك فريقا سيسنجب لذلك .. والطريق الثاني ينهل في الاساليب التي يتبعها رجال الشرطة في اخراج اي متفرج من المسرح الذي لا يحترمه .. وقد تكون المسألة صعبة في اولها ولكن بمرور الوقت سيتعود الجمهور على احترام المسرح والتخلي عن هذه العادات السيئة المترسبة من مسارح روض الفرج وعماذ الدين ..

التفقد تحليل للعقد ..

وللتفقد ايضا دور في هذه العقد المسرحية .. فمن المعروف ان أية حركة مسرحية لا بد وان تسير جنبها الى جنب مع الحركة النقدية لتساندها وتدها بالعون وتوضح لها الطريق الصحي السليم وتجنبها الدخول في طريق مسدود وأزمات قد تؤثر على حيويتها .. ولكن معظم الاعمال المسرحية في مصر تكتب وتعرض ولا يتصدى لتحليلها وتدها دارسون متخصصون في هذا الميدان .. بل يقتصر الامر على مقالات سريعة سواء في الصحف اليومية او الجلات الاسبوعية .. ولا يمكن ان تشكل مثل هذه المقالات حركة نقدية تقف وراء الحركة المسرحية .. ولذلك نستطيع القول بان المؤلفين المسرحيين عندما يكتبون في فراغ مخيف لانهم لا يجدون صدى اعمالهم في كتابات الآخرين ومؤلفاتهم .. فالكاتب والدراسات والابحاث التي كتبت حول المسرح العربي المعاصر لا تعدد عدد اصابع اليد الواحدة مما يجعل المكتبة المسرحية تعاني من هذا النقص الخطير .. ولا يجد طلبة الفنون المسرحية او الباحثون او المستشرقون المهتمون بمسرحنا المعاصر المراجع اللازمة لابعاثهم مما قد يضطرهم الى الاعتماد على انطباعاتهم الشخصية التي تزيد الامر سوءا على سوء لانها لا تنضوي تحت لواء منهج اكاديمي ثابت يعتمد على المعايير والمعايير والتقنيات .. وبذلك يشاركون في زيادة التشقت الذي تعانيه الحركة المسرحية ..

ولا يجب ان يتهنئ القائلون على الحركة المسرحية عندما لا يجدون سوى هذه الاصداة النقدية الخافتة التي ربما ثلاثت هي الاخرى لو لم تكن هناك مجلة متخصصة

لصومبة بمعنى الكلمة لانها تنطوي على عدم احترام النص وتوجيهات الاخراج وقد تؤدي بعد ذلك الى التطرف والارتجال والخروج عن النص .. ولذلك يتحتم حفظ النص عن ظهر قلب وعدم الاعتماد الكال على الملقن .. لان مثل هذا الاعتماد قد يوجد ثغرات في تسلسل الاداء مما يخل بتوازنه .. ويجب ايضا على كل ممثل ان يتخلى عن عقدة حب الظهور والا يكون مركز اهتمام الجمهور على حساب زملائه ..

مضى يرفع الستار؟؟

وقد تبدو بعض الشكليات غير ذات اهمية ولكنها مع ذلك تتفاعل مع العقد النفسية الراهنة بحكم انها من اثار الرواسب القديمة .. من هذه الشكليات مواعيد رفع الستار التي ما زالت تدور في حدود الساعة التاسعة مساء وما بعدها .. وهو التقليد الذي ارساه كل من جورج ابيض ويوسف وهبي وزكي طليمات بعد عودتهم من الخارج .. وكان سائدا في اوروبا في ذلك الوقت .. وما زلنا نحافظ عليه كأنه قاعدة مقدسة لا يمكن ان نعيد عنها .. ولعل الوقت المتأخر هذا خبير بالاندية الليلية والكابرييات الرخيصة ولكنه لا يليق بالمسارح الجادة التي تعمل على رفع مستوى الوعي عند الجمهور .. ونحن بلد يبدأ في ايجاد حدود الثامنة صباحا .. فاذا انتهى العرض بعد الثانية عشر مساء فان المتفرج سيذهب الى فراشه بعد الساعة الواحدة صباحا ، اذا حسبنا وقت المشاء والواصلات .. وغالبا ما يستيقظ في الساعة صباحا .. اي انه يضطر الى النوم ما يقل عن خمس ساعات بسبب العرض المسرحي .. وهذا يؤثر بدون شك على انتاجه في اليوم التالي .

ولذلك تفضل اقلية الجمهور الذهاب الى المسرح يوم الخميس بسبب يوم العطلة الاسبوعية الذي يليه وينتج عن هذا اصابة المسارح بالخسفة في تلك الليلة وبالفراغ في بقية ليالي الاسبوع .. ولو اننا بكرنا بجمعاء رفع الستار الى الساعة مساء مطلقا فعل كل الدول الاشتراكية لاستطعن توزيع الضغط على ايام الاسبوع .. بدلا من ان يجد المثلون انفسهم وهم يمثلون لمقاعد المسرح باتي ايام الاسبوع .

سلوك الجمهور ..

من العقد التي ترسبت في لاوعي الجمهور انه تعود على النظر الى المسرح على انه احدى ادوات التسلية والترفيه .. مثله في ذلك مثل اللب والسوداني والفشار .. ولذلك فانه من المعتاد ان تجد متفرجا يستمع بمنتهى البساطة الى رايدو ترانزستور فيده اثناء العرض المسرحي نفسه .. ومن المشاهد ايضا ان تجد متفرجا اخر يترقرق اللب ويكاد يمسق بالفشار في قفا اذني امامه بينما انهمك متفرج اخر في اخراج اكبر كمية ممكنة من

العربي المعاصر ليست بالخطورة التي قد تقضي عليه ..
لأننا نجحنا في تفتيح اذهان الجمهور الى اهمية المسرح
في حياته بدليل اقباله عليه .. ولكن هذا ينطبق فقط
على جمهور القاهرة وربما على جمهور الاسكندرية ..
اما فرق مسارح الاقاليم فما زالت تعاني من ضيق ذات
اليدين وانعدام الخبرات وعدم الاهتمام الكافي بها بدليل انه
من النادر ان نجد نصا اقليميا من اخراج مخرج من أبناء
الاقليم .. وهنا تبدو المهمة الخطيرة الملقاة على عاتق
الثقافة الجاهيرية .. لان حل عقدة المسرح العربي
المعاصر يقوم اساسا على الانفتاح على الاقاليم واستنباط
بذور جديدة في التربة المسرحية .. ومهرجان الاقاليم
الذي يعقد كل عام بالقاهرة او الاسكندرية ليس بكاف
لتشجيع مسارح الاقاليم .. لانه حل موسمي مؤقت ..
وانما يجب ان يفرغ المشتغلون بالمسرح في كل اقليم
لانهم غالبا ما يكونون موظفين يقومون بالتبديل في وقت
غراغهم .. وهذا لا يكفي لانعاش المسرح الاقليمي ..
ويجب ايضا تشجيع الفرق الممتازة وذلك بتقديم عروضها
على مسارح القاهرة او الاسكندرية .. وكذلك
يجب ان تتبادل فرق الاقاليم الزيارات وتقديم العروض ..
بهذا وحده نستطيع التخلص من العقد الحالية التي
تسببت فيها النخبة المسرحية او التي سببتها النخبة
المسرحية التي تماتي منها القاهرة بينما تعاني الاقاليم
من الجوع والاثنية المسرحية .. وفي حالة نجاحنا في
تشبيذ قاعدة عريضة للمسرح في كل انحاء البلاد ، فان
مثل هذا النجاح معناه نهضة شاملة متعددة من شأنها
ان تقضي على كل الرواسب والعقد القديمة التي عاثت
الفتور المسرحي في بلادنا .

وعنصر المنافسة مفيد جدا في القضاء على روح
الاحتكار التي تسيطر على كتاب القاهرة . فعندما
يشعرون بريح المنافسة تهب عليهم من المحافطات
الآخرى يستيقظون من غفوتهم وركودهم ويشحذون
اقتلامهم لتقديم مضامين جديدة .. وبذلك يزخر الميدان
بأعمال قابلة على البحث عن معنى جديد ومضمون جديد
وشكل جديد .. لان التكرار واجترار الماضي معناه
عودة العقد والرواسب القديمة .. وهي لا يمكن ان
تصمد في وجه الجودة والاصالة .. وليس ميدان المسرح
حقرا لاحتد ولكنه مفتوح لكل ما هو اصيل وجديد ..
ولذلك يجب على مخرجينا المسرحيين ان يتخلصوا من
عقدة العاصبة وان ينقلوا خبراتهم الى أبناء الاقاليم حتى
يكونوا كادرا جديدا خاصا بكل اقليم .. بدلا من اقتصار
مهمتهم على اخراج مسرحية معينة لاحتد الاقاليم والعودة
بعدها فوراً الى القاهرة .. وعندها نتكلم عن عنصر
المنافسة فاننا نقصد المنافسة الحرة الشريفة التي تضع
صالح الحركة المسرحية ونهضتها فوق اي اعتبار شخصي

في المسرح .. وهذا لا يعني مثالية الحركة النقدية
وعظمتها بقدر ما يعنى احتضار الحركة النقدية .. وكلما
شجعت الحركة النقدية بالحياة والصخب كلبادل هذا على
الحوية والانطلاق وتخطى الازمات والتخلص من العقد
والرواسب وبالتالي منح الحركة المسرحية نفعا جديدة
.. لان النقد هو الذي يستطيع بلورة الحركة ودراسة
خصائصها ووضعها في مكانها الصحيح بين الانجازات
العالمية .. والنقد المسرحي هو الذي جعلنا نعرف مثلا
على خصائص مسرح الغضب ومسرح العبث ومسرح
التمزق لان كتاب كل مدرسة على حدة لم يهدفوا الى
انشاء مسرح ذي خصائص متقاربة .. ولكن روح العصر
هي التي تربت بين اعمالهم .. والنقد هو الذي وضع
ايدينا على هذه الروح مما مكنا من دراسة الخصائص
العامة لكل حركة .. ونحن لا نستطيع دراسة خصائص
الحركة المسرحية المعاصرة في بلادنا لان النقد لم يقم
بدوره كما يجب .. وهذا يمنح الفرصة للعقد والرواسب
القديمة لكي تسود مما ادخل المسرح في طرق مسدودة
وجعله يتخبط بين مختلف المدارس والاتجاهات بسبب
اليأس من الثور على مضامين جديدة والنقاد الذين لا

بقلم
نبيل رابع



يهتمون بالكتاب الجدد .. وإذا تعدوا ماتهم يهاجمون ولا
يحللون .. بمعنى انهم يبرزون نقاط الضعف في العمل
المطروح للنقد ولا يحاولون توضيح الطريق للكتاب
المسرحيين الناشئين .. وهذا يؤدي الى بذر بذور
الكرهية بين النقاد والمؤلفين والمخرجين المصابين
بحساسية عامة ضد النقد وسوء نية تجاه كل ما يكتب
عنهم .. مما احوال ميدان المسرح الى حلبة للصراع
الشخصي يفوز فيها الذي يستعمل اكبر عدد ممكن من
الاسلحة .. بينما تستطاع الاعمال في الظل باختفائها في
خلفية الصورة .. ولذلك يتحتم على كل من الفريقتين
القضاء على العقد النفسية المثقلة في عقدة الاضطهاد
وسوء النية لان النقد يهدف الى الصالح العام ولا يتحاز
لفريق دون اخر ..

مسارح الثقافة الجاهيرية ..

ومن الواضح ان العقد التي يعاني منها المسرح

الرواسب القديمة في المسرح المصري المعاصر

أو اية مصلحة ذاتية ..

الموسم الحالي والعقد القديمة ..

لا نريد ان نحمل الموسم الحالي أكثر مما يطيق ولا نريد ان نسرف في التناول ولكن كما يقول المثل الصيني : ان طريق الاف ميل يبدأ بخطوة .. وليكن الموسم الحالي هذه الخطوة ايا كانت .. لعلها تهيئ الطريق للمواسم القادمة حتى تتخلص من الرواسب القديمة والعقد التي تحولت الى نوع راسخ من التقاليد المسرحية .. واذا تمكن الموسم الحالي من انجاز احدى هذه الخطوات التالية فانه يكون قد قام بدوره خير قيام .. وهي الانفتاح على الاقاليم والنهوض بمستوى الفرق المسرحية فيها ودفع الحركة القديمة لكي تشارك في الدراسة والبحث والتحليل وتوضيح معالم الطريق وتجنب المسالك المسدودة واشغال روح المنافسة بين فرق المحافظات وانشاء كادر وطني للممثلين والمخرجين يحفظ لهم الحياة الكريمة ويجنبهم التكاليف على المكاسب المادية من مصادر اخرى .. وتشجيع الاعمال الجادة في مواجهتها للاعمال التجارية .. وتوزيع خريجي معهد الفنون المسرحية على الاقاليم للاستفادة بدراساتهم ومعلوماتهم .. وانتقال فرق القاهرة لتقديم عروضها في مختلف الاقاليم بحيث لا يقتصر انتقالها الى الاسكندرية في الصيف فقط . وتقديم ميعاد رفع الستار حتى يتسنى للجمهور ان يذهب مبكرا الى منزله .. وتوعية الجمهور باداب المسرح وسلوكه واحاطة فنانينا بكل مظاهر الحب والرعاية والتشجيع .. بهذا يتحول الموسم المسرحي الحالي الى دفعة جديدة لحركتنا المسرحية المعاصرة التي نحرص كلنا على تقديمها وازدهارها وعلى تخلصنا من العقد والرواسب القديمة .. ونحن على ثقة انه لا يوجد بيننا من يتبنى للحركة المسرحية الضمور والانحلال .. لانها احد الجوانب الحيوية التي تمنح حياتنا جمالا ولوجودنا معنى .

نبيل راغب

اعفاء الناس نقیصة :

قال احد الكتاب : اذا انت عطلنا من امورك ، واعفيت ظهورنا من حمل اتعالك ومؤنك ، وتركنا غفلا في ولايتك من تنبيهك وتحريك فقد انزلنا منزلة من لا خير عنده ، وجعلت نفسك اسوة من لا يعاب به ، وكفى بذلك لنفسك ظلما .

قال النبي صلى الله عليه وسلم : من عابل الناس فلم يظلمهم ، وحدثهم فلم يكذبهم ، ووعدهم فلم يخلفهم ، فهو ممن كملت مروءته ، وظهرت عدالته ، ووجبت اخوته ، وحرمت غيبته .

وعاء السر

القلوب اوعية السرائر ، والشفاة افضالها ، والالسة مفاتيحها ، فليحفظ كل منكم مفتاح وعاء سره .
فيلسوف

قال ابن السماك

لولا ثلاث لم يُسأل سيف ، ولم يقع حيف : سلك ادق من سلك ، ووجه اصبح من وجه ، ولقمة اسوغ من لقمة . وقال الشاعر :

يقطمون احبابة بطننا لظهر
انما سمعهم لظهر و بطن

مخاطبة الهلال :

نظر اعرابي في سبع وعشرين من رمضان الى الهلال ، فقال : الحمد لله الذي اخل جسمك ، كما اخضعت بطني .

الاحتراس من الناس

لا تعانين احدا وان ظننت انه لا يضرك ، ولا ترهدين في صداقة احد وان ظننت انه لا ينفعك ، فانك لا تدري متى تخاف عدوك ، وترجو صديقك ، ولا يمتنر اليك احد الا قبلت عذره وان علمت انه كاذب ، وَلَيَقْرَلَّ عيب الناس على لسانك .

يونوس التحووي